مِنَ المَرْوِيَّاتِ اللُّغَوِيَّةِ فى "أساس البلاغة" للزّمخشرىّ
جَدِيدٌ مِنَ (النَّظَرِ) ، و طَرِيقٌ إلى (تَطْبِيق)

الدكتور
زكريا شحاتة الفقى
أستاذ العلوم اللغوية المساعد
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

مِنَ المَرْوِيَّاتِ اللُّغَوِيَّةِ فى "أساس البلاغة" للزّمخشرىّ
جَدِيدٌ مِنَ (النَّظَرِ) ، و طَرِيقٌ إلى (تَطْبِيق)

د / زكريا شحاتة الفقى
أستاذ العلوم اللغوية المساعد
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

جُمِعَ القومُ قُدَامَى ومُحْدَثِين على كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بينهم يَنْعَتُونَ بها مَرْتَبَةَ الزمخشرىِّ بين (المُجَدِّدِين) من علماء العربية ، فالرَّجُلُ عند أولئك و هؤلاء مِنْ سادات المجدِّدِين (المُجْتَهِدِين) الذين هم بأمر (التجديد) يعملون ، و على قَضِيَّتِهِ هم نازلون . فَبَيْنَا نحن واجدُون مِنْ قول القدماء فى هذا : " إنّ الزمخشرى (مُجْتهد) ، فلا يُبَالِى بمخالفة الإجماع "[١] : إذا أنت بِعَلَمٍ من أعلام المحدثين [٢] يَصْدَعُ بنحو من ذلك فيقول: " الزمخشرى صاحب مدرسة نحويةجديدة " [٣] .

والحقُّ أنّ الزمخشرى قد بَلَغَ بأمْر (التجديد) اللغوىِّ فى عصره حدًّا لم يَبْلُغْهُ

---

(١) ياسين (على شرح التصريح) ١٣١/٢ . و من آيات (اجتهاده) أيضًا مخالفته سيبويه فى غير مسألة من مسائل (المفصَّل) ، " حتى إنّ الإمام أبا الحجّاج يوسف بن معزوز صنّف كتابًا فى الرَّدِّ على الزمخشرى فى كتاب المفصّل ، و التنبيه على المواضع التى خالف فيها إمام الصناعة سيبويه ... " اهـ مُلَفَّقًا (ببعض تصرّف) من عبارة البحر المحيط ٣٧٢/٤ ؛ ٣٠٣/٨ .

(٢) هو أستاذنا المرحوم الدكتور حسن عون ، و قد تُوُفِّىَ – طَيَّبَ الله ثراه – ١٤٠٤هـ = ١٩٨٣م .

(٣) تطوّر الدرس النحوى ص ٨٠ .

أحدٌ سواه ، فقد كان عَمَلُهُ فى ذلك – عندى – على هَدْيٍ مِنْ شِعَارٍ مُؤَدَّاه : (تَابَعْنَا تَحَفُّظَاتِنَا ، فَلَمْ نَجِدْ أَبْلَغَ فى اسْتِحْيَاءِ كَلَامِنَا ، مِنْ مُوالاة التجديد فى لِسَانِنَا).

ومِصْدَاقُ ذلك من صنيع الرَّجُل أنّ فى أُصُوله الثوابت جوازَ الاستشهاد بكلام المولَّدين من علماء العربية، فقد استشهد على مجىء : (أَظْلَمَ) مُتَعَدِّيًا[١] – بقول حبيب بن أوس[٢]:

هُمَا أَظْلَمَا حَالَىَّ ثُمَّتَ أَجْلَيَا ظَلَامَيْهِمَا عن وَجْهِ أَمْرَدَ أَشْيَبِ

ثم قال : " و هو و إن كان مُحْدَثًا لا يُستشهَدُ بشعره فى اللغة ، فهو من علماء العَربية [٣] ، فَاجْعَلْ [٤] ما يقوله بمنزلة ما يرويه ، ألا ترى إلى قول العلماء[٥] : (الدليلُ عليه بيتُ الحماسة[٥] ، فيقتنعون بذلك ؛ لوثوقهم بروايته [٣] وإتقانه [٦] " ؟ [٧]

و لِخَطَرِ مقالته تلك استهلّ بها صاحبُ (الإقتراح) [٨] الفرعَ الثامنَ من فُرُوع (كتاب السّمَاع) ، فذلك حيث قال : " أجمعوا على أنه لا يُحْتَجُّ بكلام المولَّدين ،

---

(١) انظر فى حديثهم عن تَعَدِّيه : اللسان : ظلم (٢٧٦٠/٤) .

(٢) انظر : ديوانه ١٥٠/١ ، و البيت من قصيدة يمدح فيها عيّاش بن لَهيعةَ الحضرميّ .

(٣،٣) " صَرَّح أوّلًا بكونه من علماء العربية ، ثم أشار إلى أنّه ثقة ؛ باقتناع العلماء فى الاستدلال بالأبيات بثبوتها فى (الحماسة) ، فإنّه يدلّ على وثوقهم بروايته ؛ كأنّه أراد دَفْعَ أنْ يُقَال :كونه من علماء العربية ليس كافيًا فى جَعْل ما يقوله بمنزلة ما يرويه ، بل لابدّ من اجتماع العِلْم مع العدالة" اهـ الجرجانى (على الكشاف) ٢٢١/١ .

(٤) الأمْر هنا للإباحة ؛ جَعَلَ الفِعْل طَلَبِيًّا ، و هو أقوى من الخبر لو كان قال : (فَأَجْعَلُ) ؛ يريد : فأنا أجعل .

(٥،٥) امتدح هو ما جَمَعَ أبو تمام فقال : " لم يُجْمَعْ فى المقطَّعات مثل ما جَمَعَ أبو تمام " اهـ الأساس : قصد (٢٥٥/٢) .

(٦) من هذه البابة قول ابن أبى الإصبع : " أبو تمّام لا يَشُكُّ أحدٌ أنّه أَبْصَرُ من الآمدىّ باللغة ، و أَقْعَرُ منه بمعرفة اللسان العربى " اهـ تحرير التحبير ص ٣٧٠ .

(٧) الكشاف ٢٢٠/١ ، ٢٢١ . و قد تصرّف البيضاوىُّ فى العبارة بما يؤكد موافقته على ما جاء فيها ، فذلك حيث قال : "فإنّه و إن كان من المحدثين لكنّه من علماء العربية ، فلا يَبْعُدُ أنْ يُجْعَلَ ما يقوله بمنزلة ما يرويه" اهـ البيضاوى ص ١٦ . وانظر: أبا السعود ١٣٣/١ .

(٨) الهمزة هنا مقطوعة، وقد حَقَّقْتُ القول فى هذا من قبلُ ؛ فانظر– إنْ شئتَ –: هامش ٦ ص ٢٢١ فى كتابى: (من زيادة الأحرف الهوامل فى التراكيب)، وزِدْ على ما أَحَلْتُكَ عليه هناك: المقتضب ٣٦٦/٣؛ السيرافى ١٩١/١١ ، ١٩٢؛ ابن يعيش ٣١/١ ؛ الهمع ١٥٥/٢. (وانظر هامش ٣ من ص ٦١ ؛ فالذى هناك بسبب مما هنا) .

والـمُحْدَثين فـى اللغـة ، و العربيـة ، و فـى (الكـشاف) مـا يقتـضى تخـصيصَ ذلـك بغيـر أئمّـة [١] اللغـة و رواتهـا [١] ؛ فإنّـه استـشهد علـى مـسألة بقـول حبيـب بـن أوس ، ثـم قـال : وهـو و إن كـان مُحْـدَثًا .... " [٢] ، إلـى آخـرِ مـا حَكَيْنَـا مـن عبـارة (الكشاف) .

قُلْتُ : ومـا أَحْسَبُ السُّهَيْلِىَّ إلا آخِـذًا بِإِخْذِ الزمخشرىِّ فى ذلك حين أنشد [٣] قـول الطائى [٤] :

مَنْ مُبْلِغُ الْفِتْيَانِ عَنِّى مَأْلَكًا أَنِّى مَتَى يَتَثَلَّمُوا أَتَهَدَّمِ

ليُعَقِّبَ بعدها : " و الطّائىُّ و إن كان متولِّدًا ، فإنّما يُحْتَجُّ به ؛ لِتَلَقِّى أهل العربية له

(١،١) لا يخفاك جمعُ السيوطى فى عبارته هنا بين إتقان الدِّراية و إتقان الرِّواية ، و هو ما لَفَتَ إليه الجرجانىُّ فيما علّقه على عبارة الكشاف : (انظر ما تقدَّم فى ص ٢ هامش ٣) .

(٢) الإقتراح ص ٧٠ ، و انظر : المزهر ٥٨/١ .

قُلْتُ : و فى التهانوى ١١١/٤ أنّ الزمخشرى لا يُجيز الاستشهاد بشعر المحدثين مطلقًا !! ، وهو خطأ محض ؛ لمخالفته ما تُعُولِمَ من صريح قول الرجل ، و قد أَتَيْنَاكَ به تِمًّا حكايةً عن (كشافه) .

(٣) أى للاستشهاد على أنّ قولهم : (مَلَكٌ) -: أصله : مَأْلَكٌ ، من : الأَلُوك ، و هى الرسالة ، انظر : اللسان : ألك (١١١/١) ، و : ملك (٤٢٦٩/٦) .

(٤) هو فى ديوانه (بشرح التبريزى) ٢٥٠/٣ ، و الرواية فيه :

فَلْيُبْلِغِ الْفِتْيَانُ عَنِّى مَالِكًا أَنِّى مَتَى يَتَثَلَّمُوا أَتَهَدَّمِ

بالقَبول ، و إجماعهم على أنه لم يلحن [١] " [٢] . وإذا كان أبو تمام – عند الزمخشرى – من العلماء الذين يُسْتَشْهَدُ بكلامهم فى اللغة ، والعربية ، فكيف بالخليل و سيبويه ، و هما من الإحاطة باللغة ، و مِنَ العِلْمِ بالعربية : أصولها و فروعها بالمكان الذى لا يَخْفَى ؟

---

(١) قُلْتُ : و العَجَبُ من أبى حيان ؛ فبينا هو يتعقّب صنيعَ الزمخشرى ، فيُعَقِّب عليه مُنْكِرًا : " أمّا ما وقع فى كلام حبيب فلا يُستشهد به ، و كيف يُستشهد بكلام مَنْ هو مُوَلَّد ، و قد صنَّف الناسُ فيما وقع له من اللحن فى شعره " ؟! اهـ البحر المحيط ٩١/١ –: بينا هو يتعقّبه بهذا إذ أَلْفَيْنَاهُ :

• يحكى كلامَ ابن الخبّاز فى جواز حذف الفعل بعد : (رُبَّما) ، و ذلك قوله : " لم يَحْضُرْنِى فى ذلك شعر للعرب، و لكنِّى وجدتُ فى شعر أبى تمام : (ديوانه ٢٣٢/٣ ، و الرواية هناك : * و أَنْ تُعْتِبَ ... *) :

عَسَى وَطَنٌ يَدْنُو بِهِمْ وَلَعَلَّمَا وإِنْ تَعْتُبِ الأيّامُ فِيهِمْ فَرُبَّمَا

أى : فربّما بشرت أو إعادتهم انتهى " اهـ الإرتشاف ٤٦٤/٢ ، كذا حكاه و لم يعقِّب . فإن اعْتُبِرَ هنا سُكُوتُه ، فكأنّه يُجِيزُ الاستشهاد بكلام أبى تمام ؛ فـ(السُّكُوتُ أخو الرِّضا) ، و (ربما كان السكوت جوابا) .

• يحكى عبارة ابن الخبّاز فى جواز نقل حركة الميم إلى اللام فى : (هَلُمَّ) ؛ فذلك حيث قال فى : (النّهاية) –: " و لا يحضرنى شاهد ، إلا أنّى رأيت فى شعر أبى تمام بيتًا ، و الظاهر الوثوق بقوله ، و إن كنّا لا نستشهد به ؛ قال : (لم أجده فى ديوانه . قُلْتُ : و فتح اللام هنا حكاه اللحيانى – كما فى : اللسان : هلم ٤٦٩٥/٦ – .) :

هَلَمَّنِ اعْجَبُوا مِن ابنة النّاس كلّهم ذَرِيعَتــه فيما يُحَــاوِلُ خــامِلُ " اهـ الإرتشاف ٢١٠/٣ . حكاه أيضًا و لم يعقّب .

• يستأنس بقول أبى تمام فى مجىء : (تَفَيَّأَ) متعدِّيًا ، و ذلك قوله فى البحر المحيط : " (تفيّأ : من باب المطاوعة ، و هو لازم ، و قد استعمله أبو تمام متعديًا ؛ قال : (ديوانه ٤١١/١ – مع اختلافٍ فى الرواية – . ويستفاد من حواشى المحقّق أنّ هذه الرواية رواية إحدى نُسَخ الديوان ، و أنها أيضًا رواية الصّولى) :

طَلَبَتْ رَبِيعَ رَبِيعَةَ المُمْهِىَ لَهَا وتَــفَيَّأَتْ ظِــلًّا لَهَــا مَمْــدُودَا

و يحتاج ذلك إلى نقله من كلام العرب متعديًا " اهـ ٤٩٦/٥ .فهذا الذى عَجَّبْناك منه من صنيع أبى حيان – مهما يكن القول فيه : مِنْ أنّه صنيعُ مَنْ لا يزال فى مُهْلة النَّظَر ، أو أنّه من باب القولَيْن يَرِدَان عن العالِم مُتضادَّيْن ، أو أنّه بسبب ممّا يلتزمه (المجتهدُ) فى تَرَدُّدَات (اجتهاده) عند مُفَاوَضَتِهِ نَفْسَه ، أو أنّه غيرُ هذا كُلِّه ... –: أقول : هذا الذى عجّبْناك منه يدلّ دلالة بالغة على طُول ما عالج أبو حيان من أمر الاستشهاد بكلام المحدثين ، فهو تارة يستأنس بما يقولون ، و أخرى يرغب عما به يتكلمون ؛ قُلْتُ : و لهذا مِنْ صنيعه بقيّة نحن لها مُسْتَوْفُون : (انظر ص ٦ هامش ٨) .

(٢) الروض الأنف ١٤٤/٣ .

قد شَامَمْتُ الزمخشريَّ ، و بَلَوْتُ رَأْيَهُ فى الرَّجُلَيْن ؛

فأمّا الخليل [١] فكان عنده " عَلَّامَةَ البصرة "[٢] ، وفى بعض كلامه أيضًا: " أربعة لم يُسْبَقُوا ، ولم يُلْحَقُوا : أبو حنيفة فى فقهه ، والخليل فى نحوه ، والجاحظ فى تأليفه ، وأبو تمام فى شعره " [٣] .

و أمّا سيبويه [١] فقد كان عند الزمخشريِّ مَرْضِيًّا ، و كان الزمخشريُّ بـ(كتابه) حَفِيًّا [٤] ، و كثيرًا ما كان يُطْرِيهِ فى مَعْرِضِ تحقيقه لمسائل النحو و قضاياه . فَمِنْ ذلك قوله : " هذا وأمثاله ممّا يُوجب الجُثُوَّ بين يدى النّاظر فى كتاب سيبويه" [٥] ، و نحوه أيضًا : " و لا يُتْقِنُ نحوَ هذا إلا حَمَلَةُ كتاب سيبويه " [٦] .

و يؤكِّد الزمخشريُّ ما عليه سيبويه فى (الكتاب) مِنْ تَقَصِّيهِ لأبواب العربية جميعًا ، فيقول تعقيبًا على مسألة من مسائل إعراب الفعل : " و لو كانت من هذا الباب لَمَا أَخْلَى سيبويه منها كتابه ... " [٧] .

و فى (الأساس) عباراتٌ تُعَدُّ لونًا من هذا الإطراء ، و صَدًى لهاتيك الحفاوة ، و ذلك قوله : " قَرَأْتُ كُرَّاسَةً من كتاب سيبويه " [٨] ، و: " تراجمُ أبوابِ سيبويه عظيمةُ النَّفْع " [٩] .

(١،١) قد يكون مُنَاسِبًا هنا أن نَلْفِتَ إلى أنّ الزمخشريَّ قد ذَكَرَ الرَّجُلَيْن فى خُطْبة (أساسه) مَخْصُوصَيْن – دون غيرهما – بتدقيق النَّظَر فيما أَشْكَلَ مِنْ أبواب النحو ، و أَعْضَلَ من مسائله ، وكأنّ غيرهما من النحاة ليس له من هذا التَّدقيق نَصيب ؛ فتلك – عندى – إشارةٌ منه بَاكِرَهْ ، لا تَخْفَى دلالتها على ذى عَيْنٍ بَاصِرَهْ . انظر : صفحة (د) من مقدّمة (الأساس) .

(٢) الأساس : علم (١٣٩/٢) . (٣) ربيع الأبرار ٢٠٣/٣ .

(٤) من مظاهر هذه الحفاوة تصنيفُه (شرحًا لأبيات الكتاب) ؛ قُلْتُ : و فى هذا الأمر خلاف مشهور : أهو شرح للكتاب ؟ أم شرح لشواهده و أبياته ؟ و قد حَقَّقْتُ هذا الموضع من قبلُ ، فانظر – إن شئت – : (سيبويه فى " أساس البلاغة " : الشاهد و العبارة) ص ٥ هامش ٣ ، و هو بحث منشور فى العدد الثامن و الخمسين من مجلّة كلية الآداب بجامعة الإسكندرية لسنة ٢٠٠٨م ، ثم زِدْ إلى ما استدللتُ به هناك –: قولَ الأمير فى (حاشيته على المغنى) : " حكاه الزمخشريُّ فى شرح أبيات الكتاب " اهـ ١٢٦/١ .

(٥) الكشاف ١٠٧/٢ . (٦) الكشاف ١٣٩/٤ . (٧) الكشاف ٤٧٢/٣ .

(٨) الأساس : كرس (٣٠٣/٢) . (٩) الأساس : بوب (٦٧/١) .

فيأيُّها الزمخشريّ ، لله بلادُك ! إنْ كان لسانُ حاله لَيَقُول :

فَمَا قَدْرُ (الكتابِ) عَنَاهُ مَدْحِى و لكنْ قَدْرَ مَنْ صَنَعَ (الكِتَابَا) [١]

قُلْتُ : اللهمَّ نَعَمْ ، فها هو ذا يقول بلسان مقاله [٢] :

أَلَا صَلَّى المَلِيكُ صــلاةَ صِدْقٍ عَلَى عمرِو بْنِ عثمانَ بْنِ قَنْبَر[٣]

ومِنْ هذه البَابَةِ أيضًا امْتِدَاحُهُ تفسيرَ سيبويه لانتصاب : (صِبْغةَ الله)[٤] ، فذلك حيث قال : " انتصابُها على أنها مصدرٌ مؤكِّد ، هو الذى ذكره سيبويه[٥] ، و (القولُ ما قالت حَذَامِ) [٦] " [٧] .

فمازالت تلك دَعْوَاهُ حتى اسْتَوْلَى على الأمَدِ حين رأيناه فى (أساس البلاغة) يَسُوقُ عبارةَ (الكتاب) التى أجراها سيبويه على قَلَمِهِ [٨] ، فيجعلها (شاهدًا) على المادّة اللغويّة ،

---

(١) ممّا يؤكِّد عُلُوَّ مكانة سيبويه عند الزمخشرى ، و يزيد فى الاستدلال على فَرْط مَشْغَلَتِهِ بأمره –: ما وَقَعَ إليَّ مِنْ قوله فى (الأساس) : " كثيرًا ما كان يتمثَّلُ سيبويه بقوله :

إذا بَــلَّ مِنْ دَاءٍ بِــهِ ظَـنَّ أَنَّــهُ نَجَا ، و بِهِ الدَّاءُ الذى هو قاتِلُهْ " اهـ بلل (٦٣/١) .

فهذا القولُ من الزمخشريِّ مُنَادٍ على مَزِيد اهتمامٍ منه بشأن سيبويه ، و فَضْل اختصاصٍ بحاله ، فهو من العِلْم بِدَاخِلَةِ أمْرِه بحيث يُقال فيه : (لقد بَلَغَ فى هذا العِلْمِ أَطْوَرَيْه) ، انظر : الميدانى ٩٩/١ .

(٢) فى البحر المحيط : " للزمخشريِّ قصيدٌ يمدح به سيبويه و كتابه ، و هذا يدلّ على أنّه نَاظِرٌ فى كتاب سيبويه ، بخلاف ما كان يعتقد فيه بعضُ أصحابنا من أنّه إنما نظر فى نتف من كلام أبى على الفارسىّ و ابن جنِّى ، فقد رحل من خوارزم فى شيبته إلى مكة ؛ لقراءة كتاب سيبويه على رجل من أصحابنا من أهل جزيرة الأندلس ، كان مجاورًا بمكة ، و هو الشيخ الإمام العلّامة أبو بكر عبدالله بن طلحة بن محمد بن عبدالله الأندلسىّ ، من أهل يَابُرَةَ من بلاد جزيرة الأندلس ، فقرأ عليه الزمخشريُّ جميع كتاب سيبويه" اهـ ٣٧٢/٤ (بتقديم و تأخير ، و بعض تصرّف) . قُلْتُ : و هذا المُجَاوِرُ الذى قرأ عليه الزمخشرى كتاب سيبويه –: نحويٌّ أصوليٌّ فقيه ، تُوُفِّى ٥١٨هـ ، ترجم له فى بغية الوعاة ٤٦/٢ و قال : " قرأ عليه الزمخشرى بمكة كتاب سيبويه " اهـ . (٣) مطلع قَصِيدِهِ فى مدح سيبويه ؛ انظر : د. الجوينى : قراءة فى تراث الزمخشرى ص ٢٣١ . (٤) ١٣٨/البقرة . (٥) انظر : سيبويه ٣٨٢/١ – ٣٨٤ ، و انظر : السيرافى عليه ١٦٠/٥ ، ١٦١ . (٦) يريد أنّ قول سيبويه هو القول السّديد الذى يُعْتَدُّ به ؛ انظر : الميدانى ٥٢/٢ .

(٧) الكشاف ٣١٦/١ ، و انظر له أيضًا المفصل ص ٣٢ ، ٣٣ . (٨) هذا مَحَلٌّ لإنجَاز مَوْعِدَةٍ وَعَدْناك إيّاها فى ص ٤ هامش١ –: أنْ نَسْتَوْفِيَ حديثنا عن اضطراب كلمة أبى حيان فى جواز الاستشهاد بكلام المُحْدَثِين شعراء كانوا ، أو قُدَامَى مُصَنِّفِين . اسمعْ إليه يقول فى مقدّمة (نكته الحِسَان) ، كاشفًا عن منهجه فيها : " و ربّما أَلْمَمْتُ بزيادة حُكْمٍ ،

أو الأصْل المُعْجَمِيِّ الذى اشْتُقَّتْ منه ، يُسَوِّيهَا بما يقوله العربىُّ ، ويَرَاهَا

أو ذِكْر خلافٍ ، أو استدلال " اهـ ص ٣١ . قُلْتُ : فممّا زاده فيها عند كلامه على تصرُّف (كان) –: و كثيرًا ما يقول سيبويه عن الأحوال و الظروف : (فَهِىَ مَكُونٌ فيها) " اهـ النكت الحسان ص ٦٩ ، و حكاه عنه فى شرح التصريح ١٨٧/١ .[و انظر فيما أحال عليه من قول سيبويه : الكتاب ٤٠٣/١ ، ٤٠٤. و انظر منه أيضًا ٤٦/١ ، ٣٧٧ ، ثم انظر السيرافى عليه : ٣٦٦/٢ ، ٣٦٧] . فها هو ذا يَعْمِد عَمْدَ عَيْنٍ إلى عبارة سيبويه فيجعلها (شاهدًا) على مجىء اسم المفعول من (كان) فى كلامهم ؛ فَفِيمَ هُوَ مِنْ مَنْعِهِ غيَرِه – كالزمخشرىّ و السُهيلىّ – أنْ يأتى من الصّنيع نحوًا ممّا أَتَى ؟!! أَيَنْهَى عن شىء و يأتىَ مِثْلَه ؟! وأيضًا ، فلقد عَلِمَ – و هو مَنْ هو فى الإحاطة بأقوال النحاة : أكابرهم و الأصاغر – أنّ أبا علىّ الفارسىّ يمنع هذا الذى أجازه هو فى (نكته) ، فقد سأله ابنُ جنِّى عن قول سيبويه المذكور فقال : " ما كُلُّ داءٍ يعالجه الطبيب " اهـ [انظر : الصبان ٢٣٠/١ ؛ الخضرى ١١٢/١ . قُلْتُ : و مُرَادُ أبى علىٍّ – على ما جاء فى المَثَل –: (ما كُلُّ رامِى غَرَضٍ يُصيب) ، و هو مَثَلٌ معروف ، يُضْرَبُ فى التأسية عن الفائت ؛ انظر : الميدانى ٢٢٨/٢] .

فإذ قد أحاط عِلْمُ أبى حيان بقول الفارسىِّ – و أبو علىٍّ ، عنده ، " كان مِنْ علم النحو بمكان " – [انظر : البحر المحيط ١٦٤/٣] ، ثم وجدْناه يقول بعدها بجواز ما مَنَعَ الفارسىُّ =: فالرَّأْىُ – عندى – أنَّ رَدَّه الاستشهاد بأبى تمام لم يكن إلا نُزُولًا على ديدنه فى مخالفة الزمخشرى ، و رغبةً منه فى تعقُّبه و نِسْبَتِهِ إلى الخطإ ، و أَسُوقُ لك فى الاستدلال على هذا واحدةً : قَوْلَهُ بجواز العطف على الضمير المجرور بدون عود الجارّ ، خلافًا لجمهور البصريين :[انظر له فى هذا : البحر المحيط ١٤٧/٢ ، ١٤٨ ؛ ١٥٨/٣ ، ١٥٩] ؛ فبينا هو يتعقّب الزمخشرىَّ ، و قد اسْتَنْبَطَ من عبارته فى (الكشاف) ما يُوهم جواز هذا عنده : " (قال و مِنْ ذُرِّيَّتِى) : قال الزمخشرى : عطف على الكاف ؛ كأنه قال : و جاعل بعض ذريتى... ، و لا يصحُّ العطف على الكاف ؛ لأنها مجرورة ، فالعطف عليها لا يكون إلا بإعادة الجارّ ، و لم يُعَدْ " اهـ البحر المحيط ٣٧٦/١ ، ٣٧٧ ، و انظر : الكشاف ٣٠٩/١ =: بينا هو يتعقّب الزمخشرىَّ فى هذا إذا هو فى مناسبة أخرى يُسْرِف فى الاحتجاج لجواز هذا العطف ، و يُهْضِبُ فى إيراد الشواهد عليه: شعرًا و نثرًا :[انظر : البحر المحيط ١٤٧/٢ ، ١٤٨] ؛ قُلْتُ : فانظر أنت إلى قوليْه كيف يلتقيان ؟!! بل قُلْ – إنْ شئت – : إنّ جِمَاعَ قوليْه يئول إلى حاصل مُؤدّاه : هذا العطفُ جائزٌ ما لم يكن المُجِيزُ (زمخشريًّا) ، فإنْ يَكُنْهُ فالقولُ بالمَنْع واجب !! وإنّما أَثْمَمْنَا هذا التحقيق هنا ، و رَكِبْنَا إليه مَثْنَ حِجَاجِنَا ؛ استظهارًا على مَنْ يُعَرِّبُ عن أبى حيان ، إذا هو سَاقَ رَأْيَهُ غُفْلًا مِنَ (النَّظَر) : ما غَبَرَ منه و ما حَضَر ، و (إذا نُصِرَ الرَّأْىُ بَطَلَ الْهَوَى) .

وبعدُ، فهل يُجيزُ أبو حيان الاستشهاد بإنشاء العلماء، و كلام المحدثين ، فيكونَ فى ذلك (زمخشريًّا) أو (سُهَيْلِيًّا)؟

لقد أَحْذَيْنَاكَ فى هذا تحقيقًا مُنيمًا ، فإنْ قال قائل : بل لا يزال أبو حيان فى ذلك – عندى – بحيث يُقالُ فيه : (ما نَهِىَ الضَّبُّ و ما نَضِجَ) =: إنْ قَالَهَا فلا عَلَىَّ بما يقول ؛ فَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هو مُوَلِّيهَا .

مُنَاظِرَةً له سواءً بسواء ! [١]

وكذلك هو فَاعِلٌ بعبارة الخليل أيضًا ، يَأْتِى بها (شاهدًا) على تَجَوُّزٍ أو اتِّساعٍ يناسب مقام الكلام .

فمن ذلك فى كلام سيبويه :

• " ... قد عَنُفَ به وعليه ، و : عَنَّفَهُ : لَامَهُ و عَيَّرَهُ ، و منه قول سيبويه : لَمْ أُعَنِّفْهُ " [٢] .

• " رَجُلٌ ذَهِنٌ زَكِنٌ[٣] .... ، و فيه زَكَنُ إياس[٤] ، وهو[٥](أَزْكَنُ مِنْ إياس[٤]) [٥] . وفى كلام سيبويه : و تقول لِمَنْ زَكِنْتَ أنه يقصد مكة : مكَّةَ و اللهِ "[٦] .

• " عُنِىَ بكذا ، و اعْتَنَى به ، و هو مَعْنِىٌّ به ؛ و منه قول سيبويه : وهُمْ بِبَيَانِهِ أَعْنَى "[٧].

و إذ قد جَرَى ذِكْرُ هذه العبارة من كلام سيبويه ، فَلْنُتْمِمْ لك خَبَرَها عند الزمخشرىِّ (نَحْوً) ، بَعْدَ بيان حالِها عنده فى (الأساس) – (لُغَةً) – ؛ إلجامًا مِنَّا بَعْدَ إسراجٍ ، فنقول[٨] : وكذلك أيضًا رَكَنَ إليها الزمخشرىُّ فى (مُفَصَّلِه) (شاهدًا) على مجىء (السّماع) بـ(أَفْعَلِ التفضيل) ممّا بَنَوْهُ مِنْ أفعالهم للمفعول[٩] ، فذلك حيث يقول :

---

(١) أَوْلَيْتُ هذا – قبلاً – طَرَفًا من عنايتى ؛ فانظر – إن شئت –: (سيبويه فى "أساس البلاغة") ص١٨ – ٢٠. (٢) الأساس : عنف (١٤٤/٢) ، و العبارة فى سيبويه ٢٧٩/١ . (٣) الزَّكَنُ : الظَّنُّ الذى هو عندك كاليقين ، و قيل : هو التَّفَرُّسُ و الظّنُّ ؛ انظر : اللسان : زكن (١٨٤٨/٣ ، ١٨٤٩) . و فى شرح الفصيح لابن درستويه : " زكنت منه كذا و كذا ، معناه : حَزَرْت و خَمَّنْت " اهـ ص ٦٤ . قُلْتُ : و قد حَكَى ذلك عنه فى (الأساس) : زكن (٤٠٤/١) . (٤،٤) هو إياس بن معاوية المُزَنِىّ ، قاضِى البصرة ، يُضْرَبُ به المثل فى الذكاء ، تُوفِّى ١٢٢هـ ، انظر : النجوم الزاهرة ٢٨٨/١ ؛ اللسان : زكن (١٨٤٩/٣) . (٥–٥) ما بين القوسين مَثَلٌ من أمثالهم مشهور ، فانظره فى الميدانى ٣٣٨/١ . (٦) الأساس : زكن (٤٠٣/١) ، و انظر كلام سيبويه فى كتابه ٢٥٧/١ . (٧) الأساس : عنى (١٤٥/٢) ، و قول سيبويه تجده فى الكتاب ٣٤/١ . (٨) هذا استئناف مرفوع ، فهو مقطوع عن فِعْل (الإتمام) ، غيرُ جارٍ عليه ؛ أى : نحن نقول . (٩) و هذا مخالف لقياس كلامهم ، فما جاء من ذلك شاذًّا فحُكْمُهُ أنْ يُحْفَظَ حفظًا ، ولا يُقاسَ عليه ؛ انظر لهم فى هذا : ابن يعيش ٩٤/٦ ؛ التسهيل ص ١٣١ – ١٣٣ ؛ الرضى ٤٥١/٣ ، ٤٥٢ ؛ المرادى ٦٨/٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ؛ التوضيح (و التصريح عليه) ١٠١/٢ ، ١٠٢ ؛ الأشمونى ٢٢/٣ ، ٤٣ ، ٤٤ .

" القياسُ أنْ يُفَضَّلَ على الفاعل دون المفعول ، و قد شَذَّ نحوُ قولهم[١] : (أَشْغَلُ من ذاتِ النِّحْيَيْن) ، و: (أَزْهَى مِنْ دِيك) [٢] ، و: هو أَعْذَرُ منه[٣] ... ، و : أنا أَسَرُّ بهذا مِنْك ، وقال سيبويه : (و هم بِبَيَانِهِ أَعْنَى[٤]) "[٥] .

انظر إليه كيف جَمَعَ بين ما جَرَى على قلم سيبويه و ما جاء (مسموعًا) [٦] عن العرب الأوَّلين ! و كأنّ (عبارة) سيبويه – عنده – من (المسموع) الذى يَجِبُ اعتبارُه و الاعتدادُ به عند النّظر فى أبواب العربية و قضاياها .

فهذا دليلٌ – عندى – جديدٌ على أنّ الزمخشريَّ يجعل ما يقوله علماءُ العربية بمنزلة ما يَرْوُون ، و قد أَبَى ذلك غَيْرُهُ ، فهذا – عندهم – هو القانون .

---

(١) مثل من أمثالهم معروف ، انظر : الميدانى ٣٩٠/١ ، ٣٩١ . (٢) هو أيضًا فى الأمثال ، فانظره و غيره مما يناظره فى الميدانى ٣٤٠/١ . (٣) من ذلك فى أمثالهم : (الشَّحِيحُ أَعْذَرُ من الظالم) ؛ انظر : الميدانى ٣٧٩/١ . (٤) قال الأزهرى فى نحوه من قولهم : (أنت أَعْنَى بحاجتك) –: " سُمِعَ فيه : (عَنِيَ) ؛ كـ(رَضِيَ) – بالبناء للفاعل – ؛ فعلى هذا لا شُذُوذَ فيه " اهـ شرح التصريح ١٠١/٢ ، و هو – بلفظه دون عزو – فى الصبان ٤٤/٣ . ثم وقفتُ على قول (اللسان) –: " و حَكَى ابنُ الأعرابىِّ – وَحْدَهُ ! –: عَنِيتُ بأمره ، بصيغة الفاعل .. " اهـ عنا (٣١٤٦/٤) ، فقلتُ هنالك : فلعل الزمخشريَّ لم يعتدّ بحكاية ابن الأعرابى ، فجعل قول سيبويه المذكور من جملة ما خَرَجَ عن قياس (أفعل التفضيل) فى كلامهم ، و يُؤكِّد هذا ما سُقْناهُ إليك من عبارته فى (الأساس) ؛ فهو مُقِيمٌ هناك على كون الفعل مبنيًّا للمفعول لا غير : (انظر عبارته فى ص ٨) . (٥) المفصل ص ٢٣٣ . قلتُ : و اللافتُ أنّ الشارح السيرافىَّ لَاذَ بالصّمت تجاه هذه العبارة من كلام سيبويه ، فلم نَرَهُ يُعلِّق عليها مِنْ قلمه بشىء ! (انظر : السيرافى ٢٧٢/٢ – ٢٧٤) . و كذلك الجرجانىُّ ، حَكَى عبارة سيبويه عند كلامه فى (دلائله) على التقديم و التأخير ، ثم أَتْبَعَهَا – دون عزو أو تصريح – جُمَلاً بلفظها من كلام السيرافى على سيبويه ، إلا أنّه لم يعقِّب على : (أعنَى) بشىء نذكره ! (انظر : دلائل الإعجاز ص ١٠٧ – ١١١) . وتلك أُخْرَى من صنيع الجرجانىّ هى أكبر من أُخْتها ؛ أنْ يَسُوق عبارة سيبويه المذكورة (شاهدًا) على سَبْق صاحب (الكتاب) إلى ضَرْبٍ من اللفظ و النّظْم أعْيَا مَنْ بَعْدَهُ أن يجِيئُوا بمثله ، ثم يَدَعَ منها قولَه : (أَعْنَى) عَرِيًّا من التعقيب النحوىّ الذى يَسْتَوْجِبُه فى مقام كهذا ! (انظر : الرسالة الشافية فى وجوه الإعجاز ص ٦٠٤ ، ٦٠٥) . (٦) أى : خارجًا عن قانون الكثير الشائع ، و مخالفًا لقياسه .

• " ومن المجاز : أَوْمَضَتِ المرأةُ : تَبَسَّمَتْ ؛ شُبِّهَ لَمْعُ ثناياها بإيماض البرق[١] . وفى أمثلة سيبويه[٢] : تَبَسَّمتْ[٣] وَمَيضَ البَرْق[٤] "[٥] .

و منه فى عبارة الخليل :

• " و من المجـــاز : سَخَّيْتُ نفْسِى و بنفْسِى عن هـــذا الأمر إذا تَرَكْتَهُ و لم تنازعْك إليـــه نَفْسُك[٦] ؛ قال الخليل بن أحمد[٧] :

سَخَّى بِنَفْسِىَ أَنِّى لا أَرَى أحـدًا يَمُوتُ هَزْلًا و لا يَبْقَى على حالِ "[٨] .

---

(١) من هذه البابة ما أجراه على قلمه فى (الأساس) من قوله: " كأنّ ابتسامتها وَمْضَةُ برق " اهـ بسم (٤٧/١) وقوله : " كأنّ غروب أسنانها وَمِيضُ البرق " اهـ غرب (١٥٩/٢) . (٢) لم أجده فى كتابه – بعد طُول بحث – ، و قد بَسَطتُ القول فى تحقيق هذا و نحوِه فى كتاب سيبويه ؛ فانظر – إن شئت – : (سيبويه فى " أساس البلاغة ") ص ٩ ، ١٠ ، ١٦ ، ١٧ . (٣) أنْ تكون التاء للتأنيث –: هذا هو الأَشْبَهُ و المتبادر ، و قد يجعلها بعضُهم ضمير الفاعل ؛ كصنيع مُحَقِّقَي (المحتسب) ١٣٩/٢ ، ٣٣٣ ، و إنْ تَرَكَاهَا غُفْلًا فى ٢٦٢/٢ . و قد ضبطها بالضَّمِّ أيضًا د. الطناحى حين أورد ابنُ الشجرىِّ هذا المثال فى أماليه ٢٢١/٢ ، كما سَلَكَ سبيلَ الضّمِّ د. النّماس و د. رجب عثمان ؛ فانظر : إرتشاف الضّرب (بتحقيق الأول) ١٢/٢ س ١١ ، س ١٩ ، وانظره أيضًا (بتحقيق الثانى) ١٠٦٣/٣ س ٦ ، ١٠٦٤ س ٢. (٤) مَثَّلَ به ابنُ الشجرىّ فى (أماليه) ٢٢١/٢ ، ٣٩٦ لوقوع المصدر مَوْقِعَ المصدر ؛ من أجْل اتّفاقهما فى المعنَى ، و إنْ لم يكونا من لفظ واحد . قلتُ : و قد كثر فى كلامهم هذا التشبيه ، و جاء فى أشعارهم مجيئًا واسعًا ؛ فممّا وَقَعَ إلىَّ منْه قولُ ذى الرُّمّة : (ديوانه ص ٣٢) : تَبَسَّمُ عن أشانِبَ واضحاتٍ وَمِيضَ البرقِ أنجدَ فَاستَطَارا

و قوله : (ديوانه ص ٤٢) : * تَبَسَّمُ إيمـــاضَ الغمـامة جَنّهـا *

و قوله : (ديوانه ص ٣٤) : * و تبسّمُ لَمْحَ البرقِ عن متوضِّحٍ *

و قوله : (ديوانه ص ٨٩) : * شموسٌ كإيماضِ الغمام ابتسامُها *

و نحوه أيضًا قول يزيد بن معاوية : (الحماسة البصرية ٥٣٨/٢) :

* تَبَسَّمْنَ إيمـاضَ البُرُوقِ اللوامـعِ *

(٥) الأساس : ومض (٥٢٩/٢) . (٦) نحوه فى اللسان : سخا (١٩٦٧/٣) .

(٧) البيت ثانى أربعة أبيات تجدها فى ترجمة الخليل فى معجم الأدباء ٧٦/١١ ، كما تقف عليها أيضًا فى ترجمته فى إنباه الرواة ٣٤٤/١ (مع نوع اختلاف فى ترتيبها ، و فى رواية بعض من كلماتها) . و أربعتها أيضًا مع خامس بعدها تُلْفِيهَا فى طبقات الزبيدى ص ٤٧. (٨) الأساس : سخو (٤٢٩/١) .

• " وفى (كتاب العين) [١] –: الواو فى : (مَرْئِىّ) أَكَلَتْهَا الياءُ ؛ لأنّ أصله : مَرْءُوى "[٢] .

قُلْتُ : فكأنّما أراد الزمخشرىُّ لِيَجْعَلَ ما يقولُ الرَّجُلان ، بمنزلة ما يَرْوِيَان[٣] ، فَطَفِقَ يُورِدُ فى مُعجمه العبارةَ يُجْرِيها الخليلُ وسيبويه على قَلَمَيْهِمَا ، فإذا هى مُجَاوِرَةٌ لعبارة العربىِّ القديم تماثلها صِحَّةً، وتُدانِيهَا فصاحةً وعُلُوًّا؛ فقد قال الرَّجُلُ فى خطبة (الأساس) يَصِفُ العربية التى اسْتَوْدَعَهَا كتابه : " هو كتابٌ فُلِيَتْ له العربيةُ و ما فَصُحَ من لغاتها ، ومَلُحَ من بلاغتها ، و ما سُمِعَ من الأعراب فى بواديها ، ومن خطباء الحِلَلِ فى نواديها ، ومن قراضبة نَجْدٍ فى أكلائها ومراتعها ، ومن سماسرة تهامة فى أسواقها ومجامعها ، وما تراجزتْ به السُّقاهْ ، وتساجعتْ به الرُّعاهْ ، وما تقارضتْه شعراءُ قيس وتميم فى ساعات المُمَاتَنَهْ ، وما تزاملتْ به سُفَراءُ ثقيفٍ وهُذَيْلٍ فى أيام المُفَاتَنَهْ ، و ما طُولِعَ فى بُطُون الكتب[٤] ومُتُون الدّفاتر من روائع ألفاظٍ مُفْتَنَّهْ ، و جوامع كَلِمٍ فى أحشائها مُجْتَنَّهْ "[٥] .

و هنا أَنْشَأْتُ أقـــول فى نَفْسِى : إذا كان ابن منظور قد أَتَى فى (لسانه) نحـوًا من هـــذا الـصَّنيع حـين قـام علـى عبـارة ابـن جنِّـى ، فـأَكْثَرَ مـن التـوفُّر عليهـا ، و تَتَبُّـع مـا فيهـا مـن

(١) لم أجد هذا فى (العين) – على طُول بحثٍ عنه – ؛ فلعلّه فى بعض نُسَخِهِ دون بعض .

(٢) الأساس : أكل (١٧/١) . (٣) مكانهما من رواية اللغة معروف ؛ فأما الخليل فقد " حَصَرَ عِلْمَ اللغة بحروف المعجم ، و سمّاه كتاب (العيْن) " اهـ إنباه الرواة ٣٤٣/١ ؛ فكان " سَيِّدَ قوْمِه ، و كاشفَ قِنَاع القياس فى عِلْمِه " اهـ الخصائص ٣٦١/١ ، و أما سيبويه فقد "أحاط بقاصِى اللغات المنتشرة ، على سعة البلاد ، و تَعَادِى ألسنتها اللِّداد ، و كثرة التواضُع بين أهليها من حاضرٍ و باد ، حتى اغْتَرَقَ جميعَ كلام الصُّرَحَاء و الهُجَناء ، و العبيد و الإماء ، فى أطرار الأرض ، ذات الطول و العرض ، ما بين منثور إلى منظوم ، و مخطوب به إلى مسجوع ، حتى لغات الرُّعاة الأجلاف ، و الرَّوَاعِى ذوات صِرَار الأخلاف ، و عقلائهم و المدخولين .... " اهـ الخصائص ١٨٦/٣ . (٤) قُلْتُ : كأنّ ذلك دَيْدَنُه ، ففى ربيع الأبرار : " عن بعض أهل الكُتُب : من باع أرضًا أو دارًا وَرِثَهَا من أبيه دَعَتْ عليه طَرَفَيِ النّهار " اهـ ١٢١/١ .

(٥) الأساس : صفحتا ج ، د من الجزء الأول .

الفوارد اللغوية ، على ما بَسَطْناه لك فى بحثٍ سابق[١] =: فَلَأَنْ يُعْنَى الزمخشَرىُّ بعبارة الخليل وسيبويه – على النحو المذكور – أَجْدَرُ و أَوْلَى .

و لا تَحْسَبَنَّ الزمخشرىَّ مُعْتَسِفًا فيما أتاه من ذلك ؛ فقد رَازَ كثيرًا و مَازَ ، حتَّى انتهى إلى هذا النَّظَر الجدي[٢] ، و ذلك الرأى الوليد[٢] ، فَذَلِكُمْ هو جارُ الله ، لا يَرْضَى– لمكان (اجتهاده) [٣] – أن يكون مِمَّنْ لا يُبْدِئُ و لا يُعيد .

ويُمْكِنُنَا فى تَتَبُّعِنَا لفكْرَتِه[٢] فى إتيانه ما أَتَى أنْ نُقَرِّر: لقد كان (الكشاف) مَوْلِدًا لفكرته تلك، ومَنْشَأً لها : سَنَحَتْ له الفكرة، فَجَعَل يَبْلُوهَا ويُشَامُّهَا، حتى أَذَاعَ بها مُمَهَّدَةً سبيلُها ، وَارِفَةً ظِلالُها ، وذلك منه هو : (التنظير). أمّا (التطبيقُ) فمَحَلُّهُ (الأساس) ، و قد أَفْرَطْتُ لك منه رَسْمَا ، وعمّا قريبٍ لَنَأْتِيَنَّكَ بنظيره حَتْمَا[٤] .

و إنّما نقول ما قيل ؛ لأنه قد ثَبَتَ لدينا أنّ (الكشاف) [٥] أَسْبَقُ تأليفًا من (الأساس) [٥] ؛ لوقوع الإحالة فى الثانى على الأول[٦] ؛ يقول الزمخشرىُّ فى مادة :

---

(١) انظر : (أحرف القلقلة من الضّغْط إلى الحَفْر : تحرير و ترتيب) ص ٤٣ – ٤٥ ، و هو بحث منشور فى الإصدارة التاسعة الملحقة بالعدد السادس و الخمسين لسنة ٢٠٠٦م من مجلة كلية الآداب – جامعة الإسكندرية . (٢،٢،٢) أَعْنِى بثلاثتها ما أَجْمَلْناه لك قبلًا فى قولنا بلسانه : (تابعْنا تحفُّظاتنا فلم نجد أبلغ فى استحياء كلامنا ، من موالاة التجديد فى لساننا)، و ما أَعْقَبَ هذا من استشهاده قَوْلَ أبى تمام و سيبويه و الخليل: (انظر ص٢ –١١). (٣) أسلفْنا لك عن القُدَمَاء أنّ الرَّجُل عندهم فى عِدَاد (المجتهدين)– انظر ١ – . (٤) أى : حُكْمًا واجبًا مَقْضِيًّا ، عَزَمَ عليه الزمخشرىّ ، و أوجبه على نفْسه ، فَأَلْزَمَهَا هنالك إيّاه . (٥،٥) وُلِدَ الزمخشرى سنة ٤٦٧هـ (انظر : معجم الأدباء ١٢٧/١٩ ؛ إنباه الراوة ٢٦٦/٣ ؛ النجوم الزاهرة ٢٧٤/٥) ، و تأليفه للكشاف نُرَجِّح أن يكون ابتدأه – على وجه التقريب – سنة ٥٢٦هـ ؛ لقوله فى خطبته : "... و نَاهَزْتُ العَشْرَ التى سَمَّتْهَا العربُ دَقَّاقَةَ الرِّقاب " اهـ ٢١/١ ؛ ففى (الجرجانى على الكشاف) فى هذا الموضع : " العشر المُسَمَّاة بدقّاقة الرقاب : ما بين السِّنَّين إلى السبعين " اهـ ٢١/١ ؛ قُلْتُ : و هذا يُقَوِّى ما رجَّحْناه . كما يؤكِّده أيضًا أنّ فى آخِرِ النُّسْخة الحَرَمِيّة من (الكشاف) بخطِّ الزمخشرى : " فَرَغَتْ فيها يدُ المصنِّف ضحوةَ يوم الاثنين الثالث و العشرين من ربيع الآخر فى عام ثمانية وعشرين و خمسمائة " اهـ – مُخْتَصَرًا – الكشاف ٣٠٤/٤ ؛ أى أنّ تصنيفه استغرق نحو عامَيْن أو يزيد قليلًا ، قُلْتُ : وهذا موافقٌ لقوله فى خطبة الكشاف : " فُرِغَ منه فى مقدار مدّة خلافة أبى بكر الصِّدِّيق "؛ فهنا يُعَلِّق الجرجانىُّ : " مدّة خلافة أبى بكر سنتان وأربعة أشهر، أو ثلاثة أشهر وتسع ليال " اهـ الكشاف والجرجانى عليه ٢١/١ . (٦) قُلْتُ : و مِنْ كُتُبِهِ التى أحال عليها أيضًا فى (الأساس) –: (الكلم النوابغ) ، يَدْعُوهُ حينًا: =

حفر –: " ... و قد ذكرتُ حقيقة الكلمة فى (الكشاف عن حقائق التنزيل) [١] "[٢] .

علـى أنّ هنـا أَمْـرًا ينبغـى التَّنَبُّـهُ لـه والتَّنْبِيـهُ عليـه : أنّ الزمخـشرى قـد أحـاط عِلْمًـا بـأنّ (الإيناس قَبْلَ الإبساس) [٣] ، و أنّ (أوّل الشجرة النَّواة) [٤] ؛ ولذلك ما[٥] جَعَلَ يُورِدُ فى (كشّافِ تَنْظِيرِهِ) [٦] طَلَائِعَ ما سَيُودِعُهُ (أَسَاسَ تَطْبِيقِهِ) [٦] فَوَقَفْنَا مِنْ كشافه إزاء: (وكذلك جعلناكم أُمَّة وَسَطًا) [٧] – على قوله : " (أمّة وسطًا) : خِيَارًا[٨] ، و هى صِفَةٌ بالاسم الذى هو : (وَسَطُ) الشىء ... ، وقيل لـ(لخيار) : (وَسَطٌ) ؛ لأن الأطراف يَتَسَارَعُ إليها الخَلَلُ و الإعْوَارُ ، الأوساطُ مَحْمِيَّةٌ مَحُوطَة ،

= (نوابغ الكلم) ، و قد يَجْتَزِئُ بالصفة عن الموصوف فيسمِّيه: (النوابغ) – انظر : الأساس : جدب (١١٠/١) ، و : رقن (٣٦٤/١) ، و: هينم (٥٥٤/٢) –. و قد بَلَغَ من اعتداده بكتابه هذا أنْ أَجْرَى على قَلَمِهِ قولَه : " الحمدلله الذى أنعم علىَّ النِّعَمَ السَّوَابِغ ، و أَلْهَمَنِى : (الكِلِمَ النّوابغ) " اهـ الأساس : نبغ (٤١٦/٢) . و هذا – مِنْهُ – مِنْ بابة قوله أيضًا :

إنّ التفاسـير فـى الدُّنيـا بـلا عَدَدٍ و ليس فيها – لَعَمْرِى – مِثْلُ (كشّافِى)
إنْ كُنْتَ تَبْغِى الهُـدَى فـالْزَمْ قـراءته فالجَهْلُ كالدَّاءِ ، و (الكشّافُ) كالشّافِى

انظر: معجم الأدباء ١٢٩/١٩ . كما أحال أيضًا على: (الفائق فى الأخبار) – انظر : الأساس كذب (٣٠١/٢) – ؛ قُلْتُ : و هو المعروف بـ(الفائق فى غريب الحديث) ، و باسْمِهِ هذا نُشِرَ .

(١) و ذلك قوله : " فإنْ قلتَ : ما حقيقة هذه الكلمة ؟ قُلْتُ : يقال : رجع فلان فى حافرته ؛ أى فى طريقه التى جاء فيها فَحَفَرَهَا؛ أى أَثَّرَ فيها بِمَشْيِهِ فيها ؛ جعل أثر قدمَيْه حفرًا ... " إلى آخر ما قاله هناك ؛ انظر : الكشاف ٢١٢/٤ ، ٢١٣.

(٢) الأساس : حفر (١٨٤/١) . (٣) فى أمثالهم ؛ يُضْرَبُ فى المداراة عند الطَّلَب . انظر : الميدانى ٦٢/١ .

(٤) هو أيضًا مِنْ أمثالهم ؛ قال الميدانى : " يُضْرَبُ للأمر الصغير يتولّد منه الأمر الكبير " اهـ ٦١/١ ، و نحوه فى نهاية الأرب ١١/٣ . قُلْتُ : و نظيره فى الأمثال أيضًا : (مِنَ الحبَّة تَنْشَأُ الشجرة) ؛ " أى من الأمور الصغار تُنْتَجُ الكبار " اهـ الميدانى ٢٧٥/٢ . (٥) (ما) هذه : صِلَةٌ مؤكِّدة .

(٦،٦) لمّا كان (كشّافه) مَحَلًّا لـ(لتّنظير) لِمَا ارتآه ، و كان (الأساسُ) محلًّا لـ(تطبيقه) :– جَرَى الَقَلَمُ هنا بهذين المُرَكَّبَيْن الإضافِيَّيْن ، و المُراد بهما : كتابُ تنظيرِه المُسَمَّى الكشاف ، و : كتابُ تطبيقِهِ الذى اسْمُهُ الأساس . (٧) ١٤٣/البقرة . (٨) مِنْ بَابَتِهِ فى الأمثال: (خَيْرُ النّاس هذا النَّمَطُ الأَوْسَط) ؛ انظر: الميدانى ٢٥٥/١ ، و هو مذكور أيضًا فى (الحديث الشريف) – انظر: الأساس : نمط (٤٧٨/٢) ؛ .اللسان : نمط (٤٥٤٩/٦) – .

ومنه قولُ الطائىّ[١] :

كانَتْ هِىَ الوَسَطَ المحمِىَّ فَاكْتَنَفَتْ بِهَا الحَـوادِثُ حَتَّى أَصْبَحَتْ طَرَفَا

وقد اكْتَرَيْتُ بمكّة جَمَلَ أعرابىٍّ للحجِّ فقال:أَعْطِنِى مِنْ سِطَاتِهِنَّهْ؛ أراد : مِنْ خيار الدّنانير "[٢] .

فهذه العبارة التى حكاها من كلام الأعرابىِّ المُكْرِيه جَمَلَهُ :- إنما أَوْدَعَهَا هذا الموضعَ مِنَ (الكشاف) طَلِيعَةً[٣] لِـ(شواهدَ) أخرى كثيرةٍ مِنْ شَكْلِهَا ، سَمِعَهَا من أعراب مكّة الذين خَالَطَهُمْ وسمع منهم ، و كأنّه يُسَانِى فى (كشّافه) قَارِئَ (أَسَاسِهِ) و يَتَأَنَّاه ؛ لِيُحْذِيَهُ مِنْ جديد (النَّظَر) شيئًا ممّا ارْتآه ، فقد أَحْذَاهُ هنا (فَرَعًا) مِنْ نِتَاجِ (نَظَرِه) ، و (الفَرَعُ أَوّلُ النِّتاج)[٤] .

ثُمَّ لا يَخْفَاكَ أيضًا مُعَاوَدَتَهُ الاستشهاد بكلام أبى تمام ، فقد عَمَدَ هنا عَمْدَ عَيْنٍ إلى إنشاد قول الطائىِّ شاهدًا على كوْن الأَوْساط بَعيدَاتٍ من الخَلَل ، يُرِيدُ لِيُؤَكِّدَ رأيه فى جواز الاستشهاد بكلامه ، و جَعْل ما يقوله بمنزلة ما يَرْوِيه ، فهذا – عندى – مُرَادُهُ هنا و ما يَبْغِيه .

فإنْ قـــال قائـــل : أَيَأْخُذُ الزمخشرىُّ عن أعرابىٍّ يُعَاصِرُه ؟! فَتِلْكَ – لَعَمْرِى – مَخَايِلُ الزَّلَلِ وبَوَادِرُه .أَفَمَنْ كان دُونَ سَلَفِهِ فَفَصَّحْتُمُوهُ ؛ لِيَشِيعَ مَنْطِقُهُ فى النّاس ، كَمَنْ فَصَاحَتُهُ دِينٌ ، وهو عند القِرَاع من السّابقين ؟!

قُلْنَا : الذى لَهُ صَارَ الزمخشرىُّ كذلك : مِنْ دَعْوَتِهِ إلى الاستشهاد بالمُحْدَثِين من

---

(١) هو فى ديوانه (بشرح التبريزىّ) ٣٧٤/٢ ، و الرواية فيه :

كانَتْ هى الوَسَطَ الممنوعَ فَاسْتَلَبَتْ ما حَوْلَهَا الخَيْلُ حتى أصبحتْ طَرَفَا

(٢) الكشاف ٣١٧/١ (ببعض حذف) . (٣) عَجَّلَ بها هنا – كما قُلْتُ آنفًا – ؛ إيناسًا منه قبل إبساس ، و إذا كان هذا (إيناسًا) ، فـ(الإبساسُ) فى (الأساس) ؛ أقول : تَجِدُ هذا – بلفظه – مكرورًا فى مَظِنَّتِهِ من (التطبيق) ، و ذلك قوله فى (الأساس) –: " اكتريتُ من أعرابىٍّ فقال لى : أعطنى من سطاتهنّهْ ؛ أراد : من خيار الدنانير " اهـ وسط (٥٠٥/٢) .

(٤) فى الأمثال ؛ يُضْرَبُ لابتداء الأُمُور ، انظر : الميدانى ٢٣/٢ .

علماء اللغة و العربية ، و مِنْ رُكُونِهِ إلى الذين سَمِعَ منهم مِنْ أهل مكّة و غيرهم –: أنّ اللغة عنده ليست مِنَ الثَّبَاتِ و الجُمُود بحيث يكون لها مِنْ مَكَانِ أَهْلِها و زَمَانِهم مَوَاقيت[١] ، فتكونَ فيهم محصورة فى أقوال لهم و أَبَابِيت[١] ، بل لسانُ كُلِّ قومٍ عنده بسببٍ من حياتهم ، إنْ حَيَّ فَبِهِمْ ، و إنْ يَهْلِكْ فَبِهُلْكِهِم ، و إذا كانت حالُ النّاسِ حالًا تَحُول ، فكذلك اللسان ؛ لأنّه بحال أهله مَوْصُول ، فإلى جَدِيدٍ مُطاعٍ ما يَئُول .

ثُمَّ لا تَبْتَئِسْ بما دَعَا الزمخشرى إليه[٢] ولا تَنْزَعِجْ ممّا أَرَادَ أَمْرَ العربية عليه[٢] ، و إنْ كان – عندنا – فى هذيْن لَعَلَى عَهْدِنا به من الأَخْذ بأسباب (الاجتهاد) [٣] ، و النُّزُول على قَضِيّة (التجديد) [٣] =: أقول : لا تبتئسْ بهذا و لا بذاك ؛ فَلِسَانُ العُرْب له مَهَايِعُه ،هُنَّ عند القِرَاع كَتَائِبُه ، و هُنَّ أيضًا – إن اشْتَبَهَ السَّبِيلُ – لَوَاحِبُه ، عَرَفَ الزمخشريُّ هذا ، و يَعْرِفُهُ مِنَّا مَنْ رَحُبَتْ مَذَاهِبُه .

قُلْتُ : أَفَمَنْ كان على مِثْلِ هذا مِنْ قُوَّة الاعتقاد فى (التطوُّر) ، فَكَأَنَّهُ يَسْتَأْمِرُهُ سِرًّا و جهرًا ، كَمَنْ بَاءَ بِسُلْطَانِ (قَدِيمِهِ) ، فَأَوْلَاهُ قِيَادَهُ ، حَتَّى لا يُحْدِثُ دُونَهُ أَمْرًا ؟!

أمَّا [٤] الزمخشريُّ فكان فى (التَّجْدِيد) شَدِيدَ

(١،١) قد يكون مناسبًا أن نذكِّر هنا بقرار المجمع اللغوىّ فى هذا ، و ذلك قوله : " العرب الذين يُوثَقُ بعربيّتهم ، و يُسْتَشْهَدُ بكلامهم –: هم عرب الأمصار إلى نهاية القرن الثانى ، و أهل البدو من جزيرة العرب إلى آخر القرن الرابع " اهـ مجلة مجمع اللغة العربية ٢٠٢/١. قُلْتُ : و هناك تحقيق و إيضاح للميقات الزّمانىّ لكلام أهل البدو ، و هل هو آخر القرن الرابع ، أو أواسطه ؛ فانظر هذا للمرحوم الأستاذ عباس حسن فى حواشى ص ٢٤ من كتابه : اللغة والنحو بين القديم و الحديث ، و انظر منه أيضًا ص ١٣٩ .

(٢،٢) أى فى قوله – فى توثيق أبى تمام –: (فاجعلْ ما يقوله بمنزلة ما يرويه) = انظر ص ٢ =، وفى الذى كشفْنا لك عنه مِنْ حال سيبويه عنده ، و حال الخليل = انظر ص ٥ – ١١ = ، ثُمَّ هذا الذى صار إليه بعدُ من استشهاده هذا الأعرابىَّ المذكور ، على نحو غيرِ مألوفٍ و لا مشهور = انظر ص ١٤ = . (٣،٣) جَدِّدِ العهد بهذا فيما وقفْناك عليه فى ص ١ ، و انظر أيضًا ص ١٢ .

(٤) اجْتُزِئَ هنا – فى مقام التفصيل بـ(أمّا) ! – بِذِكْر أحد القِسْمَيْن دون الآخر ؛ استغناءً بما ذُكِرَ عمّا لم يُذْكَرْ ، و فى ذلك إشارة إلى كون هذا الثانى مَظِنَّةً للإهمال و الاطِّراح ؛ لمخالفةِ حالِهِ حالَ القسم المذكور =

المَحَال[١] ، لم يَزَلْ (تَطَوُّرُ اللِّسانِ) عَلَى ذُكْرٍ مِنْهُ و بال ، رَأَى فيه رَأْيًا ، فَمَهَّدَ السُّبُلَ لاغْتِراقِ أَطْوَارِه ، ثُمَّ انْبَعَثَ ساعِيًا فى قَضَاءِ أَوْطَارِه، لا يَثْنِيهِ عن التجديد سُلْطانُ مُوَاظَبَهْ، ولا يَكُفُّهُ عن رَأْيِهِ خِيفَةُ مُحَاسَبَهْ .

إذنْ ، فهذا حالُ (جَدِيدِ)[٢] ما يُرْوَى من اللغة فى (الأساس) : كلامُ علماء اللغة والعربية، و مَنْ يَجْرِى فى عِنَانِهِمْ مِنْ مُتَقَدِّمِى الفقهاء و المحدِّثين ، ثم أقوالُ أعرابٍ لَقِيَهُمُ الزمخشريُّ بمكّة وغيرها من ديار العرب و قُرَاهم و منازلهم : إناثًا و ذُكْرَانًا ، جَوَارِىَ وغِلْمانًا، وما يُدَانِى هذيْن مِنْ بَلِيغِ كلامٍ أُودِعَ كتابًا أو ديوانًا[٣] .

قال قائل : هذا المَرْوِىُّ ؛ فما بالُ الرَّاوِى ؟

قُلْتُ : كأنّك تَعْنِى الزمخشريّ ؟

= (أعْنِى حالَ الزمخشرى) ، قُلْتُ : و النُّكتةُ فى هذا كالنُّكْتة فى قوله تعالى : (يأيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم و أنزلنا إليكم نورًا مبينًا . فأمّا الذين آمنوا بالله و اعتصموا به فسيدخلهم فى رحمة منه و فضل و يهديهم إليه صراطًا مستقيمًا) ١٧٤ ، ١٧٥/النساء ؛ انظر فى بيان هذا : المغنى ٥٧/١ ؛ حاشية الجمل ٤٥٤/١ .

(١) (المَحَالُ) – بفتح الميم –: الفَقَارُ ، واحدتها :(مَحَالَة) ؛ أى كان فى (تجديده) شديدَ الفَقَار ، قَوِىَّ وَاسِطِ الظَّهْر ، فيكون هذا مَثَلًا فى القُوَّة و القُدْرة ؛ يقول الزمخشريّ : " لأنّ الحيوان إذا اشتدّ مَحَالُهُ كان منعوتًا بشدّة القوة و الاضطلاع بما يعجز عنه غيره ، و ذلك أنّ الفَقَارَ عمود الظهر و قوامه " اهـ الكشاف ٣٥٤/٢ ، و انظر له أيضًا : الأساس : حول (٢٠٨/١) ، و: محل (٣٧٠/٢) ، و انظر : اللسان: حول (١٠٥٨/٢) . قُلْتُ : و عليه فالمراد هنا التعبير عن كون الزمخشرى مضطلعًا بما يعجز عنه غيره من أمر (التجديد) اللغوى .

(٢) لا تَحْسَبَنَّ أنّ (جديدَ) ما يَرْويه الزمخشريُّ فى (أساسه) –: (تَخْلِيَةٌ) جِىءَ بها فى إثْر (تَخْلِيَة) ، بل فى (الأساس) – كغيره من معاجمنا الأُصُول – كثيرٌ من(قديم) كلامهم و أشعارهم ، تَقِفُ عليه جارًا ذا قُرْبَى ، أو صاحِبًا بِجَنْبٍ لهذا (الجديد) الذى يرويه ، ما كان المَرْوِىُّ من هذا و ذاك نازلًا على غَرَضِ الزمخشريِّ من معجمه ، و مُوافِقًا لمنهجه فيه .

(٣) لِمَكانِ اختصاصه بالكُتُب وتوفُّره كثيرًا على ما فيها نَعَتَهُ القفطىُّ فقال: " كان الزمخشريُّ أعلم فضلاء العجم بالعربية فى زمانه ، وأكثرهم أُنْسًا واطّلاعًا على كُتُبِها " اهـ إنباه الرواة ٢٧٠/٣ . وانظر هامش ٤ من ص ١١ .

قال : فَمَنْ ؟![١] .

قُلْتُ : هـــو عند القوم – بموازينهم فى معرفة الرِّجال –: (صَالِحٌ) ؛ يقول الحافــظُ الذهبىّ : " الزمخشرىّ المُفَسِّر النحوىّ ، صَالِحٌ .." [٢] ، ونحوه – بلفظه – فى: (لسان الميزان) [٣] للحافظ ابن حجر .

" و(صالح) هذه –: تعبيرٌ عندهم اصطلاحىٌّ ، يُعَيِّنُ منزلة الرَّاوِى ، وهى الدرجة الأخيرة فى التَّعديل[٤] "[٥] – على ما ذكره ابنُ الصلاح[٦] تَبَعًا لابْن أبى حاتم[٧] – ، وإنْ زاد بعضُهُم بعدها : (صُوَيْلِح) [٨] ، و: (مقبول) [٨] .

و القاعدةُ عندهم: "إذا قِيلَ : (صالحُ الحديث) ، فإنّه يُكْتَبُ حديثُه ؛ للاعتبار"[٩] .

قال : أَجَلْ ، و لكنّك جَزَأْتَ ما حَكَيْتَ ، و تَمَامُهُ – إنْ شئتَ أنْ تَسْتَتِمَّ :– " ... صالحٌ ، لكنّه دَاعِيَةٌ إلى الاعتزال[١٠] ... " ! [٢] .

قُلْتُ : إنِّى لَأَعْلَمُ ما تُريد ، فإنَّ[١] " منهم مَنْ قَبِلَ رواية المُبْتَدِع إذا لم يكن مِمَّنْ يَسْتَحِلُّ الكذبَ فى نصْرة مذهبه ، أو لأهل مذهبه ، سواء كان داعيةً إلى بدعته أو لم يكن . و عزا بعضُهم هذا إلى الشافعىّ ؛ لقوله : (أَقْبَلُ شهادة أهل الأهواء إلا الخطّابيّة

(١،١) الفاء فى الموضعَيْن : فاءُ الفَصِيحة ، و تقدير الكلام فى الأول : إنْ لم أعْنِهِ ، فَمَنْ أَعْنِى ؟! ، و التقدير فى الثانى : إنْ كُنْتَ تُبَدِّعُهُ (أى تنسبه إلى البدعة) ؛ لمكان اعتزاله ، فإنّ منهم من يقبل رواية المبتدع . (٢،٢) ميزان الاعتدال ١٥٤/٣ . (٣) انظر : ٨/٨ . (٤) قُلْتُ : و قَبْلَهَا ثلاث ، فانظر فى بيان هذه الدرجات الأربع : مقدمة ابن الصلاح ص ٢٣٧ – ٢٣٩ ؛ تدريب الراوى ٣٤١/١ – ٣٤٥ . (٥) أمين الخولى : كشاف الزمخشرى ص ٨٨ (مقال منشور فى العدد الثانى ضمن المجلد الرابع من مجلة : تراث الإنسانية فى الصفحات من ٨٥ إلى ٩٤) . (٦) و قد وافقه أيضًا على هذه العِدَّة –: الإمام النووى فى : (التقريب) ؛ فانظر : شرح السيوطى عليه : (تدريب الراوى) ٣٤٢/١ .
(٧) الحافظِ ابنِ الحافظ : أبى محمد عبد الرحمن بن أبى حاتم محمد بن إدريس ، أحد مشاهير المحدِّثين فى عصره ، صَنَّفَ (الجرح و التعديل) ، تُوُفِّىَ بالرّىّ فى المحرم ٣٢٧هـ ، انظر : النجوم الزاهرة ٢٦٤/٣ ، ٢٦٥ . (٨،٨) انظر فى هذا : تدريب الراوى ٣٤٥/١. (٩) مقدّمة ابن الصلاح ص ٢٣٩ – حكايةً عن ابن أبى حاتم – ، و نحوه فى تدريب الراوى ٣٤٥/١ . (١٠) سيأتيك هذا صريحًا فى عبارة أجراها على قلمه فى (الأساس) ؛ فانظر هامش ٢ ص ١٩.

من الرّافضة[١] ؛ لأنهم يَرَوْنَ الشهادة بالزُّور لمُوافِقِيهم[٢])"[٣] . و أيضًا فـ"قد خَرَّج البخـــارىُّ ، و مُسْلِمٌ عن جماعة قد قِيلَ عنهم إنهم دُعَاة ؛ فمن ذلك أنّ البخارىَّ خرَّج لعمران بن حطَّان الخـــارجىِّ ، مَـــادِح عبـــد الـــرحمن بـــن ملجـــم : قَاتِـــل علـــىّ بـــن أبـــى طالـــب ، و هـذا مـن أكبـر الـدعوة إلـى البدعـة . و خَـرَّج الـشيخان لعَبـد الحميـد بـن عبـد الـرحمن الحِمانى ، و قد قال أبو داود السجستانى : كان داعيةً إلى الإرجـــاء . فالأقربُ أنه لا فَرْقَ[٤] ؛ و لذلك أَطْلَقَ الشافعىُّ فى القول المشهور عنه ، و هو : (أقبلُ شهادة الجميع إلا الخطّابيَّة) كما قال فى (الأُمِّ) ما نَصُّه : (ذهب النّاسُ فى تأويل القرآن و السُّنّة إلى أُمُور تباينُوا فيها تبايُنًا شديدًا ، و اختلفوا اختلافًا بعيدًا ، فلم يُرَ أحدٌ منهم رَدَّ شهادةَ أحدٍ بتأويلٍ ، و إنْ خَطَّأه و ضَلَّلَهُ ، و رآه اسْتَحَلَّ ما حَرَّمَ الله "[٥] .

ثُمَّ يَخْتَتِمُ السِّرَاجُ قائلًا : " مَحَلُّ مـــا تقدَّم ، فى المُبتدِع الـــذى لا يُكَفَّرُ بِبِدْعَتِه ، أمّا الكافـرُ ببدعته[٦] فروايتُه ساقطةٌ على مُقْتَضَى ذلك جَزْمًا "[٧] .

قُلْتُ : فإذا عَلِمْتَ أنّ العَمَلَ على هذا فى الشهادات – على ما سمعتَ من قول الشافعى – فَلَأَنْ يكونَ العملُ عليه فى الرواية اللغوية أَجْدَرُ و أَوْلَى ؛ " لأن النَّقْلَ مَبْنَاهُ على المُسَاهَلَة ، بخلاف الشهادة "[٨] .

هذا ، و لَمْ أَرَ أَجْمَعَ لِمَا لم يَجْمَعْ أَحَـــدٌ فى كلامِه على هذا الأمر مِنَ الكَمَال الأنبارىِّ

---

(١) الخطّابيّة : فرقة من غُلاة الشيعة ، أصحاب أبى الخطّاب الأسدىّ الذى زعم أن أئمة الشيعة أنبياء ، بل زاد على ذلك فقال : الأئمّة آلهة ، و الحَسَنَان ابنا الله ، و جعفر الصادق إله ، فلمّا علم الإمام جعفر منه غُلُوَّه فى حقِّه ، تبرّأ منه ، و أمر أصحابه بالبراءة منه ؛ انظر فى هذا و غيره من تخليطهم : المعارف ص ٢٦٧ ؛ التهانوى ١٧٨/٢ ، ١٧٩، و انظر : اللسان : خطب (١١٩٥/٢) . (٢) فى (كشّاف) التهانوى : " وهؤلاء يستحلُّون شهادة الزُّور لموافقيهم على مخالفيهم " اهـ ١٧٩/٢. (٣) ابن الصلاح ص ٢٢٨ ، ٢٢٩ . (٤) أى بين كونه داعيًا إلى بدعته فَتُرَدَّ روايتُه ، و كونه غير داعٍ إليها فَتُقْبَلَ منه روايته . (٥) محاسن البلقينىّ (على ابن الصلاح) ص ٢٢٩ – ٢٣١ (ببعض تصرُّف) .
(٦) الباء ليستْ صِلَةً للمُشْتَقِّ قَبْلَها ، بل هى لِلسَّبَبِيَّة ، و لو كانت صلة لـ(لكُفْرِ) لَفَسَدَ المعنَى .
(٧) محاسن البلقينى ص ٢٣١ . (٨) الأنبارى : لمع الأدلة ص ٨٦ .

حين قال[١] : " اعلم أنّ نَقْلَ أَهل الأهواء مقبول فى اللغة و غيرها ، إلا أن يكونوا ممّن يتديّن بالكذب؛ كالخطّابية من الرافضة ، وذلك لأنّ المبتدِع إذا لم تكن بدعتُه حاملة له على الكذب، فالظّاهر صِدْقُه ، و لهذا قال بعضُ أكابر العلماء : (إذا قَبِلْنَا رواية أهل العدل[٢] ، و هم يَرَوْنَ أنّ مَنْ كَذب فَسَق[٣] ، فكيف لا نقبل رواية الخوارج و هم يرون أنّ من كذب كفر ؟) . و الذى يَدُلُّ على قبول نقلِهِم ، أنّ الأُمَّة أجمعتْ على قبول صحيح مسلم و البخارى ، و قد رَوَيَا فيهما عن قتادة ، و كان قَدَرِيًّا ، و عن عمران بن حطّان ، و كان خارجيًّا ، و عن عبد الرزّاق ، و كان رافضيًّا ، و فى العُدُول عن قبول نقلهم خَرْقُ الإجماع .

و زعم بعضُهم أنّه لا يقبل نَقْلَ أَهل الأهواء ؛ لأنه إذا رُدَّتْ روايةُ الفاسق؛ لِفِسْقِه ، فَلَأَّلَا تُقْبَلَ روايةُ المبتدِع ؛ لِبِدْعَتِهِ كان ذلك أَوْلَى . و هذا ليس بصحيح ، و ذلك لأنّ الفاسق ارتكبَ محظورَ دِينِهِ مع عِلْمِهِ بتحريمه، فلم يُؤْمَنْ أنْ يكذب مع علمه بتحريمه[٤] ، و أمّا المبتدِع فما ارتكب مَحظورَ دينه ، مع العلم بالتحريم ، و ليست بدعته حاملة له على الكذب ، فَوَجَبَ أنْ يُقْبَلَ ، فإنْ كانت بدعته تخرجه عن الدِّين ، لم يُقْبَلْ نَقْلُه ؛

---

(١) تَقِفُ على صدر كلامه منسوبًا إليه فى المزهر ١٤١/١ .

(٢) يريد بـ(أهل العدل) : المعتزلة ؛ لمكان قوله : (من كذب فسق) . و المعتزلة يُفَاخِرُون بأنهم (أهل العدل) ؛ فممّا وَقَعَ إلىَّ من عبارة الكشاف فى هذا : (أفاضل الفئة الناجِية العدليّة) ، و : (علماء العدل و التوحيد) – الكشاف ١٨/١ – . و فى (الأساس) : " مذهبُ أهل العدل هو المذهب الصحيح ، و هو الحقُّ الصَّريح ، و سائر المذاهب تُرَّهاتٌ صَحاصِح ، لا سَدَائِدُ و لا صحائح " اهـ صحح (٦/٢) . و يقرِّر فى (ربيعه) أن رأس فضائل خوارزم " هو ما رُزِقَتْهُ من المذهب السّديد ، مذهب أهل العدل و التوحيد " اهـ ربيع الأبرار ٢٠١/١ . " و المعتزلة سمَّوا أنفسهم (أهل العدل) ؛ لأنهم أوجبوا على الله تعالى ! ما هو عدلٌ عندهم ، من ثواب المطيع و عقاب العاصى ، و تيسير أسباب الطاعات و زواجر المعاصى ، و رعاية ما هو الأصلح للعباد ، و لم يُجَوِّزُوا شيئًا ممَّا يُعَدُّ ظُلْمًا " اهـ الجرجانى على الكشاف ١٨/١ . (٣) لأنّ ذلك – عندهم – يُعَدُّ إخلالًا بـ(العَمَل) ؛ يقول الزمخشرى : " الإيمان الصحيح : أنْ يعتقد الحقَّ ، ويُعْرِبَ عنه بلسانه ، و يُصَدِّقَهُ بِعَمَلِه ؛ فمَنْ أَخَلَّ بالعمل فهو فاسق ... " اهـ الكشاف ١٢٨/١ ، ١٢٩ (بحذفٍ، و نوع تصرُّف) . (٤) أى بتحريم الكذب .

لاتِّصافه بالكفر[١] "[٢] .

فقد تَبَيَّنَ إذنْ بمجموع ما ذَكَرْناه أنّ الزمخشريَّ – عند مَنْ يَرْكَبُ مَحَجَّةَ الإنصاف – مَقْبُولُ الرِّوايةْ[٣] ، مَأْمُونُ العَمَايَةْ ؛ أمّا الأُولَى فقد (كُنْتَ فى ذلك على المُجَرَّب)[٤] ، وأمّا الثانية فَلِمَكَان إمَامَتِه و (اجتهاده)[٥] .

و إذا تَقَرَّرَ هذا فَنَقولُ : إنّ معرفة الشىء مِنْ طريق الجُمْلَة غيرُ معرفته من طريق التفصيل، و معرفته من طريق (التَّنْظِير) غيرُ معرفته مِنْ طريق (التطبيق) ؛ فالتفصيلُ أَعْوَنُ على التّحْصيل ، و التطبيقُ – عندى – أَقْوَى للتَّمْثِيل .

فـ(جُمْلَةٌ) إذنْ كـ(تنظير) ، و : (تطبيقٌ) أيضًا كـ(تفصِيل) : زَوْجَانِ يَجْرِيانِ فى سبيل ، يَجْمَعُهُما نَمَطٌ مِنَ الشَّبَهِ و قَبِيل ، فالآنَ فَاعْمِدْ إلى تفصيل يُبَيِّنُ ، ثُمَّ تَمْثِيل .

الزمخشريُّ مِنْ (قُطَّانِ مَكّةَ)، و: (قَطِينِها)؛ أى: مُجَاوِرِيهَا ، وقد قال هو فى هذا: " يُقَالُ لأهل مكة[٦] وعاكفيها : قَطِينُ الله ، و هُمْ قُطَّانُ مكة و : قطِينُها –: لمجاوريها "[٧] ، ولا يَخْفَى على مِثْلِكَ أنّ الرَّجُل " جَاوَرَ بمكة المشرَّفة زمانًا "[٨] ؛ و لهذا ما " كان يقال له : (جارُ الله) [٩] "[٨] .

هذا ، و قد ثَبَتَ لدىَّ – لِمَكَانِ هذا الجِوَار – أنَّ للزمخشريِّ فَضْلَ عنايةٍ و مَزِيدَ

---

(١) تَقَدَّم نحوُه عن السِّراج البلقينى فى ص١٨. (٢) لمع الأدلة ص٨٦ – ٨٩ .

(٣) أى عند جميع اللغويِّين ، و عند المحقِّقين من (المحدِّثين) – على ما أزلفْناه لك مُحَرَّرًا – .

(٤) أى فقد علمتَ هذا بنفْسك ، و استبان لك وَجْهُ صحَّته ممّا نقلْناه لك من كلام أهل التحقيق من علماء الحديث . و أصل هذا فى أمثالهم –: (أنت على المُجَرَّب) ؛ يُضْرَبُ لمن يسأل عن شىء أَشْرَفَ على عِلْمِه ، انظر: الميدانى ٥٩/١ ؛ اللسان : جرب (٥٨٣/١) . (٥) أسلفْتُ لك غير مرّة أنّ القوم : قُدَامَى ومحدثين –: على أنّ الزمخشرى فى عِدَادِ (المجتهدين) ؛ انظر ص ١ ، ١٢ . (٦) ويُقال لأهلها أيضًا :(أهلُ الله) ؛ انظر : إعلام الساجد ص ٢٠١ . (٧) الأساس : قطن (٢٦٤/٢) – بتقديم و تأخير – .

(٨،٨) النجوم الزاهرة ٢٧٤/٥ . و انظر أيضًا : ابن يعيش ٣/١ . قُلْتُ : و لهذا ما كان يقول فى مُناجاته : " اللهم ارحم ضعفى و عجزى ، و فقرى و مسكنتى ، و لا أقول : و غُرْبَتِى ، فإنّ مَنْ فى جوارك ليس بغريب " اهـ ربيع الأبرار ٢٠٢/٢ . (٩) للفقهاء أقوال فى حُكْم المجاورة بمكة ، فانظرها فى : إعلام الساجد ص ١٢٩ – ١٣٢.

اختصاصٍ بمكة المكرَّمة : حَرَمِهَا ، و أميرها ، و أهلها ، و طُرُقها ، و أَزِقَّتِهِا ، و دُورِها ، و أعراف الناس فيها ، فكمْ مَدَدتُّ فى هذا الأمر يَدَا ؛ لعلى أبلغ فى تَقَصِّيهِ المَدَى ، فإليك ما حَصَّلْتُهُ من كلام الزمخشرى شاهدًا على ما أقول :

" تَعَلَّقَ بثياب الله[١] ؛ أى : بأستار الكعبة[١] "[٢] ، و" اسْتَلَمَ أركانَ البيت "[٣] ، " وتَمَسَّحْتُ بأركانه : تَبَرَّكْتُ به "[٣] ، " كان فى الكعبة رُضَاضُ الألواح[٤] "[٥] ، " وأَرْضُ الكعبة مُبَلَّطَةٌ بالرُّخام "[٦] ،" إذا أَتَيْتَ مكّة، فوقفتَ فى تلك المواطن فَادْعُ لى ولإخوانى "[٧] " بيننا و بين مكة ثلاثُ ليالٍ أَوَائن[٨] "[٩] ، " و سِرْنا إلى مكة ثلاث ليالٍ مُنَحِّبات[١٠] "[١١] ، " ذَهَبُوا آمَّةَ مكّة : تلقاءها "[١٢] ، "و سلكوا الضَّيْقَةَ ، و هى طريق بين مكة والطائف، و قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (هى اليسراء) ؛ تفاؤلًا "[١٣] ، "وصَلَّيْتُ فى حِجْر الكعبة "[١٤] ، "وهو لُبْسُ الكعبة "[١٥] " ذهبُوا فى شِعاب مكة "[١٦] ، " هو البيتُ العتيق "[١٧] ، " مِنَى مَنْسِكُ الحاجّ "[١٨] ، " طريقُ مكةَ ما ضَرَبَهَا العامَ قَطْرَةٌ "[١٩] ،"ورُكْبَة : منزل بين مكة و الطائف "[٢٠] ،"وفى مَثَّلٍ فى التخْيير:

(١،١) قُلْتُ : و لمكان هذه الخصوصيّة رَأَى بعضُهم أنّه لا يجوز قطع شىء من سترة الكعبة ، و لا نَقْلُه ، ولا بيعه ، و لا شراؤه ، و أنّ من حمل شيئًا من ذلك لزمه رَدُّه . بل زاد آخرون فقالوا بِقَطْع سارِقِها ، و عزاه بعضهم إلى الشافعى ؛ انظر فى هذين و غيرهما : إعلام الساجد ص ١٤٢ ، ١٤٣ ، ٢١٤ . (٢) الأساس : ثوب (١٠٣/١) .

(٣،٣) الأساس : ركن (٣٦٩/١) . (٤) كأنه يريد كُسَارَ الألواح التى كان العرب يكتبون فيها من أشعارهم و مآثرهم .

(٥) الأساس: رضض (٣٤٤/١). (٦) الأساس: بلط (٦١/١). (٧) الأساس: وطن (٥١٥/٢).

(٨) أى : مُتَأَدٍ فى مَشْيِهِنّ ، فالأَوْنُ : هو الرُّوَيْدُ من المَشْى . انظر : الأساس : أون (٢٦/١) ؛ اللسان : أون (١٧٧/١) .

(٩) الأساس : أون (٢٦/١) .

(١٠) أى: دائبات ؛ انظر : اللسان : نحب (٤٣٦٣/٦) . (١١) الأساس: نحب (٤٢٧/٢) .

(١٢) الأساس : أمم (٢٠/١) . (١٣) الأساس: ضيق (٥٨/٢).

(١٤) الأساس : حجر (١٥٤/١) . (١٥) الأساس : لبس (٣٢٩/٢) .

(١٦) الأساس : شعب (٤٩٣/١). (١٧) الأساس : عتق (٩٨/٢) .

(١٨) الأساس : نسك (٤٣٩/٢) . (١٩) الأساس : ضرب (٤٥/٢) . (٢٠) ربيع الأبرار ١٧٠/١ ، و انظر : معجم ما استعجم ص ٦٦٩ ، ٦٧٠ ، ٩٦٠ ؛ اللسان : ركب (١٧١٥/٣) .

(خُذَا أنْفَ هَرْشَى أو قفاها) [١] ، و هى ثَنِيَّة فى طريق مكة قريبةٌ منها "[٢] ، " مكةُ رُحْلَتِى "[٣] ، ومَنْزِلِى فى أُمِّ رُحْم[٤]، وهى مكة "[٥] ، " و حبّذا بطحاءُ مكة ! "[٦] ، " التَّبَطُّح ، خيرٌ من التَّبَطُّخ ؛ أى : النُّزُول بمكة خيرٌ من بُخَوارَزْمَ "[٧] ، " فلان من أهل الحاجر ، وهو مكان بطريق مكة "[٨] ، " وطاف فى أزقّة مكة "[٩] ، " والتقيْنا بالجَبَاجِب ، وهى عَلَمٌ لمَنْحَرِ مِنَى ؛ لأنّ الكُرُوش تُلْقَى فيها "[١٠] ، " لا أفْعَلُ و رَبِّ الأَثْبِرَةِ الغُبْرِ ، و هو جَمْعُ : (ثَبِير) [١١] ، و هى أربعة[١١] "[١٢] ، " قِيلَ لمكة : (النَّاسَّة) ، و : (النَّسَّاسة) ؛ لِجَذْبِهَا و يُبْسِهَا "[١٣] ، " كيف لا يكون مِنْ أهل الصّلاح ، مَنْ هو مِنْ أهل (صَلَاح) ، وهو من أسماء مكة "[١٤] ، "حَلَفَ بالبَنِيَّة وهى الكعبة [١٥] " و كَسَا أبو كَرِبٍ[١٦] بيت الله الأنطاع "[١٧] ، " أهل مكة يقولون :

---

(١) أَصْلُهُ صَدْرُ بيتٍ تقف عليه فى : معجم ما استعجم ص ١٣٥١ ؛ اللسان : هرش (٤٦٥٢/٦) ، ويُرْوَى أيضًا : (بَطْنَ) ، و : (جَنْبَ) مكان : (أَنْفَ) . ثم وقفتُ – بأخرة – على عَجُزه أيضًا فى أمثال الميدانى ٩٤/٢ وهو : * كِلَا جانِبَىْ هَرْشَى لهنّ طَرِيقُ * . (٢) الأساس : هرش (٥٤٣/٢) ، و انظر : معجم ما استعجم ص ١٣٥٠ – ١٣٥٢ ؛ اللسان : هرش (٤٦٥٢/٦) . (٣) الأساس : رحل (٣٢٩/١) .

(٤) انظر: معجم ما استعجم ص ١٩٥؛ إعلام الساجد ص ٨٠ . (٥) الأساس: رحم (٣٢٩/١) .

(٦) الأساس : بطح (٥١/١) . (٧) الأساس : بطخ (٥١/١) . (٨) الأساس : حجر (١٥٤/١) .

(٩) الأساس : زقق (٤٠٣/١) . (١٠) الأساس : جبب (١٠٥/١) ، و انظر : معجم ما استعجم ص ٣٦١ ، ٣٦٢ .

(١١،١١) (ثبير) : جَبَلٌ بمكة ، و هى أربعة أثبرة بالحجاز ؛ ثبيرُ حِرَاء – و هو ثبير الأثبرة – ، و ثبير غَيْنَا ، و ثبير الأعْرج ، و ثبير الأحْدَب ؛ انظر : معجم ما استعجم ص ٣٣٥ ، ٣٣٦ ؛ اللسان : ثبر (٤٧٠/١) . (١٢) الأساس : ثبر (٨٩/١) .

(١٣) الأساس : نسس (٤٣٨/٢) ، و انظر : إعلام الساجد ص ٨٠ ؛ اللسان : نسس (٤٤٠٩/٦) .

(١٤) الأساس : صلح (٢٣/٢) ، و انظر : ربيع الأبرار ١٨٤/١ ، و انظر : معجم ما استعجم ص ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٨٣٨ ؛ إعلام الساجد ص ٨٠ . (١٥) الأساس : بنى (٦٥/١) ؛ قُلْتُ : و جعلها الزركشىُ فى أسماء مكة : (إعلام الساجد ص ٨٢) ، و نَبَّهَ ناشره على تخليطه فى هذا و غيره ، انظر : إعلام الساجد ص ٧٨ (هامش ١) .

(١٦) أى: " اليَمَانىّ ، مَلِكٌ من مُلُوك حمير ، و اسمه أسعد بن مالك الحميرىّ ، و هو أحد التبابعة " اهـ اللسان: كرب (٣٨٤٧/٥) .وانظر فى الحديث عن كسوة البيت: إعلام الساجد ص ٥١ – ٥٣. (١٧) الأساس : نطع (٤٥٣/٢) .

(صَـــلَّى الـــمَقَامُ) [١] "[٢]" ،" و كـــان عنـــدنا بمكـــة –: التُّرَبِـــيُّ[٣] الـــمُؤْنَى بعـــضَ مزاميـــرِ آلِ داود[٤] "[٥] ، و لِفُلَيْتَةَ[٦] بن قاسم أمير مكة ابنان ؛ أحدهما : (عبدِالله[٧]) – بالجرّ – ، والآخر: عبدَالله) – بالنصب – ، وكان بمكة رجل يقال له : (عبدِالله[٧]) – بِجَرَّةِ الدَّال – لا يُعْرَفُ إلا هكذا "[٨] .

"أهل مكة يُسمُّون يومَ القَرِّ: (يومَ الرُّءُوس)؛ لأنهم يأكلون فيه رءوس الأضاحى"[٩] ، و " يُسمُّون الكُزبرة : (الدُّقّة) "[١٠] ، و " يُسمُّون المِزْلاج : (ضَبَّة) "[١١] ، و" يُسمُّـــون سِفْلَ الدار : (القـــاعةَ) ، ويقولون : فلان قَعَدَ فى العِلِّيَّة[١٢] ، و وضع قُمَاشَـهُ[١٣] فى القاعة "[١٤] ، و : " أَبْصَرْتُ دَارَكَ : القاعةَ والعَلَالِيَّ "[١٥] ، و " يُسمُّون الرُّسُلَ إلى دار الخلافة : (المُنَدَّبَةَ) "[١٦] ، ويقولون " لِلمُعَلِّم : أَمَرَنِى كَبِيرِى ، و: قال لى كبيرى ؛ كذا ؛ يُريدون : مُعَلِّمَهُمْ و أستاذَهم فى القرآن ، و فى كُلِّ شىء " [١٧] .

" أهـــل مكـــة يقولـــون : طَرَّيْـــتُ البِنَـــاءَ : طَيَّنْتُـــه ، و : طَـــرِّ بنـــاءَك ، و : مـــا لـــك لـــم

---

(١) أى : مقام إبراهيم ، و نحوه ما حكاه أبو علىّ من قولهم : (صلَّى المَسْجِدُ) ؛ انظر له : كتاب الشعر ٢٤٣/١ ، و انظر أيضًا : الأمالى الشجرية ٢٢/٢ ، ٦٧ . قُلْتُ : و وَقَعَ إلىَّ مِنْ (إعلام الساجد) ص ٨٣ أنّ : (المقام) اسمٌ من أسماء مكة ! . (٢) الكشاف ١٦٢/١ . (٣) نسبةً إلى : (تُرَبَة) ، وادٍ من أودية الحجاز ، سيأتيك مَزِيدُ كلامٍ عليه فى هامش ٢ من ص ٢٦ . (٤) يريـــد أنّ صـــوته حَـــسَنٌ ؛ ففـــى (الأساس) : " يقال للحَسَن الصوتِ : لقد أُوتِىَ من مزامير آل داود ، وهو جمع: مِزْمَار ؛ كأنّ فى حَلْقه مزامير ؛ لطيب صوته .. " اهـ زمر (٤٠٧/١) . (٥) الأساس : ترب (٧٨/١) .

(٦) فى اللسان : فلت (٣٤٥٦/٥) –: أنّ مِنْ أسمائهم :(أَفْلَتَ) ، و: (فُلَيْتًا) . (٧،٧) قُلْتُ : و هو ما نكتبه فى الرسم المعاصر : (عبداللاه) ؛ طَلَبًا للفرق بينه و بين غيره من المرفوع و المنصوب. (٨) الكشاف ٢٩٦/٤ . (٩) الأساس : رأس (٣١٠/١) . (١٠) الأساس : دقق (٢٧٧/١) . قُلْتُ : و عَمَّ بها فى اللسان –: توابلَ القِدْر كُلَّها ؛ فَكُلُّها – عند أهل مكة – : دُقّة ؛ انظر : اللسان : دقق (١٤٠٢/٢) .

(١١) الأساس : ضبب (٣٩/٢) . قُلْتُ : و فى كلام المحدِّثين على ما يُعْرَفُ عندهم بـ(التَّضْبيب) –: صِلَةٌ بهذا الإطلاق الذى جَرَى عليه أهل مكة ؛ فانظر : مقدّمة ابن الصلاح ص ٣١٥ – ٣١٧ .

(١٢) العِلِّيَّة ، و : العُلِّيَّة –: الغُرْفة ، و الجمع : العَلَالِىّ ؛ انظر : اللسان : علا (٣٠٩٠/٤) .

(١٣) قماش البيت : متاعه ؛ انظر : اللسان : قمش (٣٧٣٨/٥) . (١٤) الأساس : قوع (٢٨٤/٢) .

(١٥) الكشاف ٥١٥/٢ . (١٦) الأساس : ندب (٤٣١/٢) . (١٧) الكشاف ٥٤٥/٢ ، ٥٤٦ .

تُطَــرِّهِ ؟ "[١] ، " و الْهَــدَّةُ : مَمْــدَرَةُ[٢] أهــل مكــة – بــالفتح و الــضمّ – ؛ كالــمَقْبُرة "[٣] ، " و أهل مكة يَبْنُونَ حول السَّطْح جُدَيِّرًا قصيرًا يسمُّونه: (الطَّنَفَ)، ويقولون: طَنِّفْ خائطَك "[٤] ، " أهل مكة يَصبُّونَ على الرُّطَبِ العَسَلَ فى البَرَانِىِّ "[٥] ، " و سمعتُ ناسًا من أهل مكة يقولون : هو[٦] رَجِيعُ ثَوْرٍ فى بحر الهند "[٧] .

" أنا أسْكُنُ فى مَعْلَاةِ مكــــة، وفــــلان فى مَسْفَلَتِهَــــا "[٨] ، " هى الحِبــــالُ التى تُبــاعُ بمكة "[٩] ، " يُقَالُ لطريق العراق إلى مكة : (المِثْقَبُ)[١٠] ، سَلَكُوا المثقب ؛ أى : مَضَوْا إلى مكة "[١١] .

" مِنْ سُنّة أهل الحرم أنّ كُلَّ مَنْ عَلَا الكعبة من عبيدهم فهو حُرٌّ ؛ لا يجمعون بين عِزِّها و ذِلَّة الرِّقّ . و بمكة صُلَحَاءُ لم يدخُلوا الكعبة قطُّ ؛ تعظيمًا لها "[١٢] .

" حَبَّ إلىَّ بِسُكْنَى مكة ، و حَبَّذا جوارُ الله "[١٣] ، و" يا حبّذا جوارُ مكة ؛ أى : جوارُ الله فى مكة "[١٤] ؛ فـ"لقد جَرَّبْنَا و جَرَّبَ أَوَّلُونا فلم نَجِدْ فيما دُرْنَا و دارُوا أَعْوَنَ على قهْر النفْس و عِصْيان الشهوة ، وأجمعَ للقلبِ المُتَلَفِّت ، و أَضَمَّ لِلْهَمِّ المنتشر ، وأَحَثَّ على القناعة ، و أَطْرَدَ للشيطان ، وأَبْعَدَ مِنْ كثير الفِتَن ، وأضبط للأمر الدِّينىِّ فى الجُمْلة مِنْ سُكْنَى حرم الله و جوار بيت الله ؛ فلله الحمدُ على ما سَهَّلَ مِنْ ذلك وقَرَّبَ ، و رَزَقَ من الصبر ، وأَوْزَعَ من الشُّكْر "[١٥] .

فَقَدْ تَرَى إلى هذا (المحصول المَكِّىّ) ، و ذاك (الرُّكَامِ الحَرَمِىّ) ، يجتمعان فى

---

(١) الأساس : طرى (٧٠/٢) .(٢) المَدَرُ : الطِّينُ العِلْكُ لا رمل فيه ، و : المَمْدَرَة : الموضع فيه هذا الطِّين ، يُؤْخَذُ منه فتُمْدَرُ به الحِيَاض ؛ أى : يُسَدُّ خصاصُ ما بين حجارتها ، انظر : اللسان : مدر (٤١٥٩/٦) . (٣) الأساس : مدر (٣٧٣/٢) ، و انظر : معجم ما استعجم ص ١٣٤٧ ، ١٣٤٨ . (٤) الأساس : طنف (٨٢/٢) .
(٥) الأساس : صقر (٢١/٢) . (٦) يريد : العَنْبَر . (٧) ربيع الأبرار ٢١٩/٢.
(٨) الأساس : سفل (٤٤٤/١) . (٩) الأساس : تبن (٧٧/١) .
(١٠) فى اللسان – نقلًا عن التهذيب –: " طريق العراق من الكوفة إلى مكة يقال له : مثقب " اهـ ثقب (٤٩٢/١) .
(١١) الأساس : ثقب (٩٥/١) – بنوع تصرُّف – . (١٢) ربيع الأبرار ١٧١/١ . (١٣) الأساس : حبب (١٤٨/١) .
(١٤) الكشاف ٣١/٣ . (١٥) الكشاف ٢١٠/٣ .

(أساس) الزمخشريِّ (المُجَاوِر) ، و فى غيره أيضًا مِنْ تَصَانِيفه السَّوائر .

و لا تَستطيع الامتناع هنا مِنْ أن تقول : ذلك محصول يَكشِفُ عن واسِعِ خُبْر ، وهذا رُكامٌ قَلِيلُهُ – عند العارِفِين – كُثْر ؛ فَلِلّه ثَوْبَاه ! خُوَارَزْمِيٌّ[١] تَمَكَّكَ[٢] ، بل قُلْ – إنْ شئتَ –: مَاكَّ المَكِّيِّينَ فَمَكَّهُمْ[٣] ، و لا غَرْوَ ، فَرُبَّ مَكِّيٍّ ليس بِمَكِّىّ[٤] .

قُلْتُ : ولَدَىَّ – عنه أيضًا ! – مِنْ هذا (الرُّكام) مَزِيد ، و إنْ وَجَدْنَاهُ لَصُنُوفًا وألوانًا ؛ فمنه الطّائِفِيُّ و منه الحجازىّ[٥] ، و منه أيضًا المَدَنِىّ ، و فيه اليمانِيُّ و الشامىّ ، ثمّ الكُوفيُّ البصرىّ . فالرَّجُلُ كما طاف بمكة و حرمها و شعَابها ، لِيَقِفَ من أعراف أهلها وأحوال النّاس فيها على ما لا يُحِيطُ به إلا مَكِّيٌّ أو مُجَاوِر ، فكذلك أيضًا

---

(١) المشهور فى رائها –: الفتح ، وقَيَّدَهُ فى معجم ما استعجم ص ٥١٥ بالكسر ؛ قُلْتُ : فإن كان كلاهما مسموعًا فهو – عندى – من (تخليطهم) فى الأعجمىّ ؛ قال ابن جنى: "العرب إذا نَطَقَتْ بالأعجمىِّ خَلَّطَتْ فيه " اهـ المحتسب ٨٠/١ ، ٩٧ ، و انظر له فى هذا أيضًا : الخصائص ٣٥٩/١ ؛ المحتسب ٢٢٥/٢ ، وحكاه عنه منسوبًا إليه : الكشاف ٣٠٠/١ ، و الرازى ٤١٦/١ . (٢) أى: انْتَسَبَ إلى مكّة و ليس من أهلها ؛ كقولهم : تَقَيَّسَ، و: تَنَزَّرَ . وقد اختلفت كلمة النحاة فى التعبير عن هذا المعنَى من معانى (التَّفَعُّل)، فعبارة سيبويه : " أراد الرَّجُلُ أن يُدْخِلَ نفْسَه فى أمرٍ حتى يُضاف إليه ، و يكون من أهله " اهـ الكتاب ٧١/٤، وفى المقتضب: " يَخْرُجُ من هيئة إلى هيئة " اهـ ٢١٦/١، ودعاه فى (الممتع) –: " الحِرْصَ على الإضافة " اهـ ١٨٣/١ ، وعبارته فى (التسهيل) : " التَّلَبُّس بمُسَمَّى ما اشْتُقَّ منه " اهـ ص ١٩٩ ، وعليها جَرَى أبوحيان فى الإرتشاف ٨٢/١ ، وفى البحر المحيط ١٦٥/١ ، وقد سمّاه فى (المفصّل) : تكلُّفًا – انظر منه ص ٢٧٩ – ؛ و كذلك هو فى : الصاحبى ص ٣٧٠ ، و : فقه اللغة ص ٥٥٢ . قُلْتُ : و الرَّأْىُ – عندى – أنّ مُرَادَ كُلٍّ مِنْ مُراد الآخر بسبب . (٣) أى: فَاقَهُمْ فى (المَكِّيَّة)، وغَلَبَهُمْ فى الاستحواذ على أسبابها وهو ما يُعْرَف بباب (المُغَالَبَة) ، سمّاه بذلك فى المفصّل ص ٢٧٨ ، و قال فى الخصائص : " هذا موضعٌ معناه الاعتلاء والغَلَبة " اهـ ٢٢٥/٢، وحكى عبارته فى الأشباه والنظائر ٣٠٩/١ ، وفى ابن يعيش : " المغالبة موضوعةٌ لِلْفَلْجِ والظَّفَر " اهـ ١٥٧/٧ . و انظر فى الباب أيضًا : سيبويه ٦٨/٤ ؛ المقتضب ١٠٣/٢ ؛ الممتع ١٧٣/١ ؛ اللسان : خصم (١١٧٧/٢) . (٤) هذا كقولهم فى المَثَل: (رُبَّ ابن عمٍّ ليس بابْن عمّ)– على ثانِى مَعْنَيَيْه كما أوضحه الميدانى ٣١٨/١ –. و المراد هنا : رُبَّ رَجُل غير مَكِّىٍّ يَفُوقُ المكِّيِّين معرفةً بمكة وبَصَرًا بأحوالها ، و إحاطةً بأخبارها و تاريخها ، فإذا هو مَكِّىٌّ – حُكْمًا – ، و إن لم يكن مكِّيًّا – على الحقيقة – . (٥) انظر للوقوف على بيان (الحجاز) ما هو، واختلاف العلماء فى ذلك – : المعارف ص ٢٤٧ ؛ معجم ما استعجم ص ١٠–١٢ ؛ إعلام الساجد ص ٧٤ ، ٧٥ .

طَوَّفَ فى غيرها من أمصار العرب و بُلدانها ، و نَزَلَ بكثير من منازلهم و ديارهم على امتداد جزيرتهم[١] طُولًا وعَرْضًا، ومِصْدَاقُ ذلك أيضًا من (أَسَاسِهِ)؛ فذلك حيث يقول فيه :

" ووَطِئْتُ كُلَّ تُرْبَةٍ فى أرض العرب ، فَوَجَدتُّ تُرْبَةَ[٢] أَطْيَبَ التُّرَب ، و هى وادٍ على مَسِيرة أربع ليالٍ من الطائف[٣] ، و رأيتُ ناسًا من أهلها "[٤] .

وفى (الأساس) أيضًا : " جازُوا حَبْلَىْ زَرُودَ ، و هما رملتان مستطيلتان . أنشد الزمخشرىُّ بنفْسه – قال أنشدتُّهما بزَرُودَ[٥] –:

زَرُودُ بِحَبْلَيْهَا الطَّويلَيْن قَصَّرَتْ حِبالَ القُوَى من ركبهما و ركابها

زرودُ زَرُودٌ[٦] لِلْقُوَى ، ما مَشَتْ بِهَا أُولاتُ القُوَى إلا انْثَنَتْ لا قُوَى بها "[٧] .

و بَيْتَاهُ هذان – على ما سمعتَ – فيهما وَصْفُهُ لِـ(زَرُودَ) و رَأْيُهُ فيها[٨] ، و قد جاء ذلك منه مُوَافِقًا لِنَعْتِهَا فى كتب المواضع و البُلْدان[٩] .

---

(١) انظر أيضًا فى المراد بـ(جزيرة العرب) ، و بيانهم لحدودها –: المعارف ص ٢٤٦ ، ٢٤٧ ؛ معجم ما استعجم ص ٥ – ١٠ ؛ الأساس : جزر (١٢٢/١) ؛ إعلام الساجد ص ٧٦ ، ٧٧ .

(٢) هى : (تُرَبَة) – بالتحريك – ، و أَظُنُّهُ خُفِّفَ هنا ؛طَلَبًا للمشاكلة و الازدواج ، و تخفيفُ المفتوح من نحو هذا –: فَرَغْتُ من بيان حُكْمِهِ فى بحثٍ مَضَى ؛ فانظر – إن شئتَ – : (العطف الموطِّئ) ص ٧٢٣ (هامش١) ،وزِدْ على ما أحلتك عليه هناك : المزهر ٨٦/٢ . هذا ، و خلاصة ما وقفتُ عليه مِنْ أَمْرِ (تُرَبَةَ) فى كتب المواضع والبلدان : وادٍ من أودية الحجاز ، أسفَلُهُ لبنى هلال و الضِّباب و سلول ، و أعلاه لخثعم ؛ انظر : معجم ما استعجم ص ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٧٨٧ ، ٧٨٨ ، ١١٥٦ ؛ معجم البلدان ٢١/٢ ، وانظر أيضًا : اللسان : ترب (٤٢٥/١) . (٣) جاء ذِكْرُ (تُرَبَةَ) فى الأمثال ، و ذلك قولهم : (عَرَفَ بَطْنِى بَطْنَ تُرَبة) ؛ فانظر فى قصّته و مضربه : معجم ما استعجم ص ٣٠٩ ؛ الميدانى ٤٦٩/١ ؛ معجم البلدان ٢١/٢ ؛ اللسان : ترب (٤٢٥/١) . (٤) الأساس : ترب (٧٨/١) .

(٥) فى (معجم ما استعجم) –: " زرود : جَبَلُ رَمْل " اهـ ص ٦٩٦ ، وانظر : اللسان : زرد (١٨٢٤/٣) .

(٦) أى تذهب بها و تستنفدها ،فـ(الزَّرْدُ) فى كلامهم : الابتلاع – انظر : اللسان : زرد (١٨٢٤/٣) –.

(٧) الأساس : حبل (١٥٠/١) . (٨) قُلْتُ : و لمكان بَصَرِهِ بها وبما حولها ، تقف من (أساسه) على قوله : " نزلتُ بفلانٍ فكأنِّى نزلتُ بأبرق العزَّاف ، و هو يَسْرَةَ طريق الكوفة قريبًا من زَرُودَ " اهـ عزف (١١٥/٢) . و(أبرقُ العزاف – على ما فى اللسان –: " رمل لبنى سعد " اهـ عزف (٢٩٢٩/٤) . (٩) انظر : معجم ما استعجم ص ٩١٣ ، ٩١٤ . قُلْتُ : ولـ(زرودَ) أيضًا ذِكْرٌ فى : (أيام العرب) ؛ فانظر : معجم ما استعجم ص ٦٩٧ ؛ الميدانى ٤٠٦/٢ .

فهـذا وذاك ممّـا وَقَفْنَـاكَ عليـه فـى (أساسـه) ، يؤكِّـدان أنّ صـاحِبَنَا عِـضٌّ أَسْـفار ، و جَوَّابُ أَصْقاعٍ و أَقْطار ، و داراتٍ هنالك و حِرَار .

فإنْ أَرَدتَّ من محصُول (طائفيَّاته) شيئًا ، فقد وَقَعَ إليَّ عنه مِنْ هذا[١] :

" رأيتُ ناسًا يَرْمُونَ الطائف : يقصدونه "[٢] ، " الطائف بَلَدُ النّبِق [٣] ، والحَمَاطِ ، وهو تِينٌ صغارٌ مُسْتديرة[٤] ، ورأيتُ شَجَرَهُ هناك دَوْحًا عِظَامًا، وكأيِّن من حَمَاطَةٍ قد استظللْتُ بها ، وقِلْتُ تحتها ، وأكلتُ من ثمارها " [٥] ، " وبالطائف حاراتٌ [٦] ؛ منها : حارة بنى عوف ، و: حارة الصّقْلة " [٧] ، " وحَضَرْنَا منْضَحةَ عرفةَ بالطائف ، فأردْنا أنْ نأخذ شيئًا مِنْ قَضْبِهَا[٨] ، فقال عرفة: خُذُوا مِنْ رَخْدِه[٩] ؛ أراد: من ضَعِيفِهِ و نَاعِمِهِ[٩] الذى هو قريبُ عهدٍ بالنجوم "[١٠] " وعُيُون الطائف قَوَاطِعُ[١١] إلا القليل "[١٢] ، " و جَاءَ بِـ(أطرافِ العذارَى) ، و هو عِنَبٌ أبيض بالطائف ؛ يقال: هذا عنقود من الأطراف "[١٣] ، " أَحْلَى من العَسَل الشَّبَابِيِّ ؛ منسوب إلى بنى شَبَابَةَ من أهل

---

(١) ما يأتيك هنا من هذه (الطائفيات) ، وَقَعَ إليه عن خُبْرٍ و معاصرهْ ، و فى (طائفيّاته) أيضًا ما كان عن سابق عِلْمٍ و مُذاكرهْ ؛ كقوله فى (ربيعه) : " دُهاة العرب أربعة ، و كُلُّهُم وُلِدُوا بالطائف : معاوية ، و عمرو بن العاص ، و المغيرة بن شعبة ، و السائب بن الأقرع " اهـ ربيع الأبرار ٤٥٧/١ .

(٢) الأساس : رمى (٣٧٥/١) .

(٣) هو ثَمَرُ السِّدْر ، و : النِّبْقُ ، و : النَّبْقُ – مُخَفَّفَيْن – حَمَلُ السِّدْر ؛ انظر: اللسان : نبق (٤٣٢٨/٦) .

(٤) انظر : اللسان : حمط (٩٩٨/٢) .

(٥) الأساس : حمط (١٩٨/١) .

(٦) " الحَـارَةُ : كُـلُّ مَحَلَّـةٍ دَنَـتْ منـازلُهم فهـم أَهْـلُ حـارة " اهـ اللسان : حير (١٠٦٨/٢) .

(٧) الأساس : حور (٢٠٥/١) .

(٨) " القَـضْبُ : مـا أُكِـلَ مـن النبـات المقتـضب غَـضًّا " اهـ اللـسان: قـضب (٣٦٦٠/٥) . و فـى الكـشاف : " القَضْبُ : الرَّطْبَة ؛ سُمِّىَ بمصدر : (قَضَبَهُ) إذا قطعه ؛ لأنه يُقْضَبُ مرّةً بعد مرّة " اهـ ٢١٩/٤ ، ٢٢٠ ، و انظر : معانى الفراء ٢٣٨/٣ .

(٩،٩) يُقَالُ : رَجُلٌ رِخْوَدٌ الشباب : ناعِمُهُ ، و : الرِّخْوَدُ من الرجال : اللَّيِّنُ العظام الرِّخْوُها ، انظر : اللسان: رخد (١٦١٦/٣) . قُلْتُ : و منه : (رَخْدُ القَضْب) فهذا من ذاك.

(١٠) الأساس : رخد (٣٣٠/١) .

(١١) جَمْعُ : (قَاطِعَة) ؛ يُقَالُ : قَطَعَتِ البئرُ ، و العينُ : إذا ذهب ماؤهما و انقطع سريعًا . انظر : اللسان : قطع (٣٦٧٩/٥ ، ٣٦٨٠) .

(١٢) الأساس : قطع (٢٦٣/٢) .

(١٣) الأساس : طرف (٦٨/٢) .

الطائف[١] "[٢] .

و المَقْطُوعُ بـه عِندِى أن الزمخشرىَّ قد أقام بالطائف حِينًا ؛ لِمَكَانِ ما أَزْلَفْتُ لك هنا من كلامه ، و لِقَوْلِهِ أيضًـــــا فى (الأساس) –: " و أَمْلَتْ علىَّ أُمُّ هِبَةَ : أُمُّ مَثْوَاىَ بالطائف – فى كتاب اسْتَكْتَبَتْنِيهِ إلى ابنتها بمكة ..." [٣] ، فإنما تقول: " (أبو مثواى) ، و: (أُمُّ مثواى) [٤] : لِمَنْ أنت نازِلٌ به [٥] – على ما خَطَّتْهُ يمينُه فى (أساسه) [٥] – .

ومِنْ هذا فى (حِجَازِيَّاته) :

" أهل الحجاز يُسمُّون الزرع و الطعام : عَيْشًا "[٦] ، " خَرَجَ إلى المَذْهَب[٧] ، وهو المُتَوَضَّأُ عند أهل الحجاز "[٨] ، " ويقول أهل الحجاز : أعطيتُهُ كذا جَرِيمًا من التَّمْر ، وهو مُدُّ النبى صلى الله عليه وسلم "[٩] ، "من كلام أهل الحجاز :أعطيتُ الرّجُلَ نَذْرَ[١٠] جُرْحِه، والقَوْمَ نُذُورَ[١٠] جراحهم : أُرُوشَهَا[١٠] ؛ لأنها ممّا نَذَرَ رسول الله ؛ أى : أَوْجَبَ "[١١] ، "و يقول أهل الحجاز : أَبِيعُكَ[١٢] المَلَسَى لا عُهْدَةَ [١٢] ؛ أى : أبيعُك البيعة التى انْملسْتُ منهـــا سالمًـــا ، لا تَبِعَةَ منها عَلَىّ " [١٣] ، " المِدْمَاك – عند أهل الحجاز –: الصَّفُّ من

---

(١) بنو شبابة : قوم بالطائف من بنى مالك بن كنانة ؛ انظر : اللسان : شبب (٢١٨٢/٤) .
(٢) الأساس : شبب (٤٧٤/١) . (٣) الأساس : بخنق (٣٤/١) . (٤) فى الأساس : " و من المجاز : مَنْ أُمُّ مثواك ؟ " اهـ أمم (٢٠/١) . (٥،٥) ثوى (١٠٣/١) ، و انظر أيضًا : اللسان : ثوا (٥٢٤/١) .
(٦) الأساس : عيش (١٥٢/٢) . (٧) و فى الحديث : " أَبْعِدُوا المذهبَ و اتّقُوا الملاعن " ، انظر : الأساس : نبل (٤١٧/٢) . (٨) الأساس : ذهب (٣٠٧/١) . (٩) الأساس : جرم (١٢٠/١) ، و انظر : اللسان : جرم (٦٠٧/١) .
(١٠،١٠،١٠) " الشافعىُّ سَمَّى فى كتاب جراح العَمْد – ما يَجِبُ فى الجراحات من الدِّيَاتِ =:(نَذْرًا)؛ قال : ولغة أهل الحجاز كذلك " اهـ اللسان : نذر (٤٣٩٠/٦) ، و انظر أيضًا : اللسان : أرش (٦١/١) . (١١) الأساس : نذر (٤٣٣/٢) – بتقديم و تأخير – . (١٢–١٢) ما بين القوسين – بلفظه –: فى الأمثال ، يُضْرَبُ لمن يخرج من الأمر سالمًا ، لا له و لا عليه ، أو فى كراهة المعايِب ؛ انظر : الميدانى ٢٣٨/٢ . (١٣) الأساس : عهد (١٥٠/٢) . و تَجِدُها أيضًا مكرورةً – فى ترجمة : (ملس) – مُطْلَقَةً ؛ غير منسوبة إلى أهل الحجاز : " (بايعْتُكَ المَلَسَى) : البيعة التى لا تتعلّق بها تبعةٌ و لا عُهدة" اهـ ٣٩٩/٢ ، و هذا – عندى – من المَظَانِّ التى يجب فيها حَمْلُ المُطْلَق على المُقَيَّد. قُلْتُ: وكذلك أطلقها فى (اللسان) ، فجاء بها غير منسوبة ، انظر : اللسان: ملس (٤٢٦١/٦) .

الحجـارة أو اللَّـبِن[١] " فـى البِنَـاء ، " قَـدَحٌ مِـنْ نُـضَار ، و هـو أَثْـلٌ وَرْسِـىٌّ اللَّـوْن[٢] بغَـوْرِ الحجاز "[٣] .

و منه أيضًا فى الرُّكام (المَدَنِىّ) :

" نَوَاضِحُ يثرب[٤] "[٥] ؛ يُرِيد عُيُونَها التى تَفُورُ بالماء ، " و لأهل المدينة ثِيَابٌ غِلَاظٌ مُخَطَّطَةٌ تُسَمَّى: (أحلامَ نائمٍ) [٦] "[٧] ، "مَرَّتْ جَوَارٍ مَدَنِيّات، عليهن رِيَاطٌ عَدَنِيّات"[٨] "، " و يقول أهل المدينة : اسكُبْ عَلَى يَدِى"[٩] ، " أَكَلَ الطَّبِّيخَ : لغةُ أهل المدينة "[١٠] ، " اسم (يَنْبُع) [١١] ؛ لكثرة ينابيعها ؛ سمعتُ الشَّريفَ سَلَمةَ[١٢] بن عيّاش اليَنْبُعِىّ : كانت له مائة و سبعون عينًا فوّارة "[١٣] .

و فى (يَمَانِىٍّ) مَحْصُولِه :

" حَبَرَاتُ اليمن[١٤] كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبُّها و يلبسها "[١٥] ،" زَائَـهُ مِنَ الثَّنَاءِ

---

(١) الأساس : دمك (٢٨٣/١ ، ٢٨٤) – ببعض تصرُّف – . و نحوه فى اللسان : دمك (١٤٢٤/٢) .

(٢) "الأَثْلُ: شَجَرٌ كريم العِيدَان تُسَوَّى به الأقداحُ الصُّفْر الجِيَاد" اهـ اللسان : أثل (٢٨/١) – بنوع تصرُّف –. وفى اللسان أيضًا : " الوَرْسِىُّ من الأقداح: النُّضَارُ ؛ مِنْ أجودها " اهـ ورس (٤٨١٢/٦) . (٣) الأساس : نضر (٤٥١/٢) .

(٤) " (يثرب) : اسم المدينة ، و قيل : أرض وقعتْ المدينة فى ناحية منها " اهـ الكشاف ٢٥٤/٣ ، و حكاه عنه – بحروفه – فى إعلام الساجد ص ٢٣٥ .

(٥) الأساس : نضح (٤٥٠/٢) . (٦) فى اللسان : " (أحلام نائمٍ : ضَرْبٌ من الثياب ؛ قال ابن سيده : و لا أَحُقُّهَا " اهـ حلم (٩٨٢/٢) . و لا يخفاك أنّ (اللسان) أَطْلَقَ هنا أيضًا ، فلم ينسبها لأقوام بأعيانهم : (انظر هامش ١٠ من ص ٢٨ ، حيث أسلفْنا لك عن اللسان أيضًا نحوًا من هذا الإطلاق) .

(٧) الأساس : حلم (١٩٥/١) . (٨) الأساس : عدن (١٠٣/٢) . (٩) الأساس : سكب (٤٤٩/١) ، و نحوه أيضًا فى اللسان : سكب (٢٠٤٥/٣) . (١٠) الأساس : طبخ (٦٠/٢) .

(١١) موضع بين مكة و المدينة ، عن يمين (رَضْوَى) لمن كان مُنْحَدِرًا من المدينة إلى البَحْر ، و هى قرية كبيرة ، و بها عُيُونٌ عِذَابٌ غزيرة ؛ قيل : إنها مائة عين إلا عينًا ، انظر : معجم ما استعجم ص ٦٥٥ ، ٦٥٦ ، ١٤٠٢ ؛ اللسان : نبع (٤٣٢٧/٦) . (١٢) ذكره فى (أساسه) أيضًا ، و فى (ربيعه) باسم : (سلامة) ، فإنْ لم يكن تحريفًا فلعله كان يُدْعَى بهما جميعًا : (انظر ص ٤٢ مع العناية بهامش ٦ منها) . (١٣) الأساس : نبع (٤١٦/٢) .

(١٤) ضَرْبٌ من بُرُود اليمن مُنَمَّرٌ ، و المفرد : حَبَرَة – بفتح الحاء وكسرها – : اللسان : حبر (٧٤٩/٢) . (١٥) الأساس : حبر (١٤٩/١) .

الأَهْتَمِىّ[١] ، بِأَبْهَى مِنَ البُرْدِ الأَتْحَمِىّ[٢] "[٣] ، " و لَبِسَ اليُمْنَةَ[٤] ، و هى مِنْ بُرُودِ اليَمَن"[٥] ، " جاءت مراكبُ اليمن : سفائنه "[٦] ، " أهـــل اليمن يُسَمُّون الجَرِىءَ : مُكَالِبًا ؛ لِمُكَالَبَتِهِ المُوَكَّلَ بهم "[٧] ، و يُسمُّون " المرأةَ : القَحْبَةَ[٨] ، و يقولون : لا تثق بقول القَحْبَهْ ، و لا تَغْتَرِرْ بِطُولِ الصُّحْبَهْ "[٩] ، " هو من الأَذْوَاء ، و : الذَّوِين ، و هُمْ مُلُوك اليمن الذين أسماؤهم : ذو رُعَيْن[١٠] ، و: ذو كَلَاع[١١] ، و ذو : يَزَن[١٢] "[١٣] ، " أكثرُ المآسِدِ فى بـــلاد اليمـــن"[١٤] ، " كأنّه صفيحـــة يمانيّة "[١٥] ، " عنده الطّاوُسُ ؛ أى: الفِضَّة – بلسان اليمن – . "[١٦] ، " أَحْسَبُكَ مِنْ فَلَّاحَةِ اليمن[١٧] ، و هُمُ الأَكَرَة[١٨] ؛

---

(١) المنسوب إلى (الأهتم) : لَقَب سِنَانِ بن سُمَىٍّ بن سنان بن خالد بن مِنْقَر ، هُتِمَتْ ثَنِيَّتُهُ يومَ الكُلَاب ؛ قُلْتُ : و إذا وُصِفَ الثناء بالأهتمىّ ، فأَكْرِمْ بفصاحته و عُلُوِّه ! ؛ فـ"فِى بنى الأهتم رجالٌ معروفون خُطَبَاء يَطُولُ الكتابُ بأسمائهم " اهـ الإشتقاق ص ٢٥١ ، و انظر : اللسان : هتم (٤٦١٣/٦) . (٢) (أَتْحَم) : " موضع باليمن ، و هو الذى تُنْسَبُ إليه الثياب الأتحميّة " اهـ معجم ما استعجم ص ١٠٤ ، وانظر : اللسان : تحم (٤٢١/١ ، ٤٢٢) . (٣) الأســـاس : تحم (٧٧/١) . (٤) فى اللسان أنها بضمّ الياء و فتحها : انظر : يمن (٤٩٧٠/٦) . (٥) الأساس : يمن (٥٦٣/٢) . (٦) الأساس : ركب (٣٦٥/١) . (٧) الأساس : كلب (٣١٧/٢) ؛ أى لأنه يلازمهم كملازمة الكلاب لما تَطْمَعُ فيه – كما عبَّرَ فى (اللسان) : كلب (٣٩١٢/٥) – . (٨) قَيَّدَهُ فى (اللسان) – نقلًا عن الأزهرى – بالمرأة المُسِنَّة ؛ انظر : اللسان : قحب (٣٥٣٤/٥) . (٩) الأساس : قحب (٢٣٠/٢) .

(١٠) (رُعَيْنٌ) : جَبَلٌ باليمن ، فيه حِصْنٌ يُنْسَبُ إليه هذا الملك من ملوك حمير ؛ انظر : معجم ما استعجم ص ٦٦٢ ؛ الأساس : رعن (٣٥٠/١) ؛ اللسان : رعن (١٦٧٦/٣) . (١١) " التَّكَلُّعُ : التّحالُف والتّجمُّع ؛ لغة يمانية ، و به سُمِّىَ ذو الكَلَاع ، و هو ملك حميرىّ من ملوك اليمن من الأذواء ، و إنما سُمِّىَ به ؛ لأنهم تَكَلَّعُوا على يديه ؛ أى : تجمَّعُوا " اهـ اللسان : كلع (٣٩١٦/٥) . (١٢) " ذو يَزَن : ملك من ملوك حمير تُنْسَبُ إليه الرِّماح اليزنيّة " اهـ اللسان: يزن (٤٩٥٦/٦). (١٣) الأساس : ذوى (٣٠٦/١) . (١٤) الأساس : أسد (١٢/١) .(١٥) الأســـاس : صـــفح (١٨/٢) ، و الصفيحة : واحدة الصَّفَائح ، و هى السُّيُوف العِرَاض ؛ انظر : اللسان : صفح (٢٤٥٥/٤) . (١٦) الأساس : طوس (٨٣/٢) ، و نحوه فى اللسان : طوس (٢٧١٨/٤) . (١٧) فَحْوَى كلامه أنّ :(الفَلَّاحة) – و هى جمع: (فَلَّاح) –: أَجْرَى على لسان اليمانيِّين من: (الأَكَرَة). (١٨) " جمع : (أَكَّار) ؛ كأنّه جَمْعُ : (آكِر) – فى التقدير –. " اهـ اللسان : أكر (١٠٠/١) ، و (الأكّار) : الحَرَّاث ، و الفلّاح ، والزَّرَّاع ؛ انظر: اللسان: أكر (١٠٠/١) ، و: فلح (٣٤٥٨/٥ ، ٣٤٥٩) . قُلْتُ : وقد يُقال له أيضاً : =

لأنهم يَفْلَحُونَ الأرض ؛ أى : يَشُقُّونَها "[١] .

و الزمخشرىُّ أيضًا فى هذا (اليمانِىِّ) مِنْ (محصوله) إنّما يصدر فيه عن خُبْرٍ باليمانيِّين ومَعَاشِهِم ، إذ وَقَفَ الرجلُ علـى أعـرافهم ، و أحـاطَ أيـضًا بمـألوف كلامِهِـم ، والمعـروف مـن خطابهم، كما اشْتَغَلَ بالنّظر فى طبيعة بلادهم ، فَرَأَى الفِلاحَةَ[٢] وهى فيهم تَزَايَدُ ، وإنْ كَثُرَتْ فى الأرض المَآسِد !

و هذا كُلُّهُ : مِنْ خُبْرِهِ باليمانيِّين : معاشًا ، و مألوفَ عُرْفٍ ، و طبيعةَ أرضٍ ، و معروفَ خطاب –: إنّما وَرِثَهُ الزمخشرىُّ مِنْ قِبَلِ ثَوَائه هناك ؛ فالثّابِتُ أنّه " فى أيام مُقَامِهِ بالحجاز زَارَ همْدان ، و مدح آلَ زَرير "[٣] ، و مِنْ قوله فى هذا[٤] :

كَمْ قُلْتُ فى خُورَزْمَ[٥] عندَ تَرَحُّلِى لركائبى : سِيـرِى إلـى هَمْـدانَـا
و بَنُو زَرِيــرٍ مـا تُــزَرُّ ثِيَــابُهُــم إلا على الهضبات مِنْ ثَهْلانَا[٦]

و فى (شامِيّاتِ) رُكَامِه :

" حَلُّوا مَشَارِفَ الأرض : أَعَالِيَهَا ، و منه : مشارفُ الشام "[٧] ، " هو من أجناد الشام ، وهى خمسُ كُوَرٍ : دمشقُ[٨] ، و حِمْصُ[٩] ، و الأُرْدُنُّ[١٠] ، و قِنَّسْرِينُ[١١] ،

= (الجَوَّار) ؛ انظر : اللسان : جور (٧٢٤/١) . (١) الأساس : فلح (٢١٢/٢) .
(٢) (الفِلَاحَـةُ) – علـى : (فِعالَـة) –: هـى حِرْفَـةُ : (الفَـلَّاح) ، و يقـال لهـا أيـضًا : الحِرَاثـة . انظـر : اللـسان : فلـح (٣٤٥٩/٥) . (٣) د. الحوفى : الزمخشرى ص ٤٣ . (٤) انظـر : د. الحـوفى : الزمخـشرى ص ٤٤ ؛ د. الجوينى : منهج الزمخشرى فى تفسير القرآن ص ٣٧ ، و انظر لـه أيضًا : قراءة فى تراث الزمخشرى ص ٢١١ .
(٥) و هذا أيضًا من تخليطهم فى الأعجمىّ ، انظر ما أَزْلَفْنا لك من الكلام على هذا فى هامش ١ من ص ٢٥ .
(٦) ثَهْلانُ : جبل باليمن معروف ؛ انظر : معجم ما استعجم ص ٣٤٧ ؛ اللسان : ثهل (٥١٨/١) .
(٧) الأساس : شرف (٤٨٧/١) . (٨) هى قَصَبَةُ الشام ؛ انظر : معجم ما استعجم ص ٥٥٦ ؛ اللسان : دمشق (١٤٢٢/٢) . (٩) كُورَة من كُوَر الشام مشهورة ، سُمِّيت برجُل من العماليق ؛ انظر: معجم ما استعجم ص ٤٦٨ ؛ اللسان : حمص (٩٩٧/٢) . (١٠) الأردنّ : كُورة بأعلى الشام ، و هو اسمُ نهرٍ هناك معروف ؛ انظر: معجم ما استعجم ص ١٣٧ ، ١٣٨ ؛ اللسان : ردن (١٦٢٩/٣) .
(١١) كُورة بالشام ، وهى أحد أجنادها ؛ انظر : اللسان : قنسر (٣٧٥١/٥ ، ٣٧٥٢) .

وفِلَسْطِينُ[١] ؛ كانت الأجنادُ تُحْشَدُ منها ، فَسُمِّيَتْ بذلك. و النِّسبة تردُّ إلى الواحد ، فيقال : (جُنْدِيٌّ) [٢] ، وأمّا : (الجَنَدِيُّ) فمنسوب إلى : (الجَنَد) [٣] باليمن "[٤] ، " و فلانٌ يحمى أَطْرَارَ الشام : أطرافها "[٥] ، " ما أَهْلُ الشّامْ ، إلا كشَجَرِ البَشَامْ[٦] : دُهْنُهُ من أَطْيَبِ الأفواه[٧] ، و عُودُهُ مَطْيَبَةُ الأفواه[٧] "[٨] ، " زَيْتٌ رِكَابِيٌّ : محمول من الشام على الرِّكاب "[٩] ، " أَخْصَبَتِ الأرضُ [١٠]وصارتْ بَثَنِيَّةً و عَسَلًا[١٠] ، و هى حِنْطَةٌ موصوفة ؛ سمعتُ شاميًّا يصفها بالحُمْرَة و يقول : قَمْحُ الشام أنواعٌ[١١] : منه البَثَنِىُّ[١٢] ، والكَيّـــُونُ ، والحُسَيِّنُ ، والهُوَيْدِىُّ ، والنّاقُونَسِىُّ ، الشَّيْلُونِىُّ، والسَّوَادِىّ[١٣] "[١٤] .

---

(١) كُورة بالشام معروفة فيما بين الأردنّ و ديار مصر ؛ انظر : اللسان : فلسط (٣٤٦٠/٥ ، ٣٤٦١) .
(٢) و يقول أيضًا : " الجُنْدِىُّ : منسوب إلى أجناد الشام " اهـ الأساس : بحح (٣٢/١) .
(٣) مدينة معروفة باليمن ، قِيلَ : و هى أَجْوَدُ كُورها ؛ انظر : اللسان : جند (٦٩٨/١) .
(٤) الأساس : جند (١٣٨/١) . و نحوه فى اللسان : جند (٦٩٨/١) ، و انظر أيضًا : اللسان : خلف (١٢٣٥/٢ ، ١٢٣٦) . (٥) الأساس : طرر (٦٧/٢) . (٦) البَشَامُ : شَجَرٌ طَيِّبُ الرِّيح و الطَّعْم ، يُسْتَاكُ به ، واحدته : بَشَامَة ؛ انظر : اللسان : بشم (٢٩٠/١) . (٧،٧) (الأفواه) الأُولَى : ما يُعالجُ به الطِّيبُ ؛ كما أنّ (التوابل) ما تُعَالَجُ به الأطعمة ، أو تكون بمعنَى : الأصناف و الأنواع ، و (الأفواه) الأُخْرى : جمعُ الْفَمِ ؛ انظر : الأساس : فوه (٢١٩/٢) ؛ اللسان : فوه : (٣٤٩٥/٥) .
(٨) الأساس : بشم (٤٨/١) . (٩) الأساس : ركب (٣٦٥/١) ، و نحوه فى اللسان: ركب (١٧١٣/٣) .
(١٠-١٠) ما بين القوسيْن أَصْلُهُ من كلام لخالد بن الوليد فى خُطبة خَطَبَهَا فى الناس لمّا عَزَلَهُ عمرُ عن الشام ؛ انظر : اللسان : بثن (٢٠٩/١) ، و : بون (٣٩١/١) .
(١١) عُظْمُ هذه الأنواع –على ما ذكره الزمخشرىّ – لم أَجِدْهُ فى مظانِّه من معاجمنا الأُصُول ، و هذا يدلّ على أنها أسماء مُحْدَثَة ؛ قُلْتُ : و دليل ذلك قوله : (سمعتُ شاميًّا يقول ...) ، فالزمخشرىُّ نَزَلَ الشام فى حدود ٥٢٦هـ أو قبل ذلك بقليل ، فهذا مِنِّى كـ(الجواب المَيْدانىّ) ، والأمر بحاجة إلى تحقيق يُسْتَعَانُ فيه بمعاجم النبات ، إلا أنّ ذلك ليس من غَرَضِنَا الآن .
(١٢) أى : المنسوب إلى (البَثَنِيَّة) ، و هى قرية بالشام بين دمشق و أَذْرعات ؛ انظر : معجم ما استعجم ص ٢٢٦ ؛ اللسان : بثن (٢٠٩/١) . (١٣) السَّوَادِىّ : السِّمْرِيز ، و هو ضَرْبٌ من التّمر : [انظر : اللسان : سمرز (٢١٣٣/٣) ، و : سود (٢١٤٣/٣)] ؛ فلعلَّ فى هذا النوع من القمح طُولًا كطُول التمرة ، فدعاهم هذا إلى تسميته باسمه .
(١٤) الأساس : بثن (٣٠/١) .

و ما أَحْرَى هذا مِنْ شاميٍّ رُكامِهِ أنْ يُقالَ لِذِكْرِه : (لِتَحْمِلْ عِضَةٌ جَنَاهَا) [١] ؛ فَـ(كُلُّ إناءٍ يَرْشَحُ بما فيه) ! [١] أقول : فى هذه الشاميّات أيضًا أَثَارَةٌ مِنْ عِلْمِ الرجُل بالشام و أحوال أهلها و مَآكِلِهِم فيها ، و دليلٌ على اطِّلاعه على تجَاراتٍ لهم يُديرُونَهَا فى البُلْدان و نَوَاحِيها ، و ما كان هذا ليكون لولا أنْ كُتِبَ له عند الشاميين عُرْجَة ؛إذ نَزَلَ فيهم و أقام بينهم و هو فى طريقه إلى مكة عازِمًا على جِوَارِه الثانى .و قد طَابَ له فى مُقَامِهِ بالشام أن يَمْدَح[٢] " الملكَ : تاجَ الملوك بُورِى بن ظهير الدِّين طُغْتِكِين صاحب دمشق "[٣] ؛ لِمَكَانِ شجاعته و شهامته ؛ فقد " قَتَلَ أبا علىٍّ المَزْدَقَانِىّ[٤] ، وجماعةً كثيرةً من الإسماعيلية[٥] "[٣] ، و" حَمَى المسلمين من الصَّليبيِّين ، إذ جَمَعَ العربَ و التّركمان لِصَدِّهِمْ عن دمشق ، و هزمهم سنة ٥٢٣هـ "[٦] .

والذى أسلفْتُ لك من إقامة الزمخشرى بالشام و نُزُولِهِ فى أهلها ، ممّا أَعْقَبَهُ – عندى – هذا (العِلْمَ) و ذاك (الاطِّلاعَ) اللذيْن جَرَى ذكرُهما آنفًا =: أقول : هذه الإقامة أَقَرَّهَا و رَجَّحَ أَمْرَهَا مِنْ قَبْلِنا الدكتور الحوفى فى كتابه عن الزمخشرىّ ، فذلك حيث قال : " و الرّاجح أنّه أقام بالشام مُدَّة ؛ لأنه مدح شمس الملوك[٧] الذى خَلَفَ أباه

(١،١) كلاهما فى أمثالهم ، و مَضْرِبُهما واحد ؛ انظر: الميدانى ١٠٨/٢ ، ١٤٤ ، و انظر أيضًا: الأساس : رشح (٣٤١/١) . (٢) لَفَتَ إلى هذا المديح قبلنا –: د. الجوينى ، و د. الحوفى ؛ فانظر لهما : منهج الزمخشرى فى تفسير القرآن ص ٣٩ ، ٤٠ ؛ الزمخشرى ص ٤٥ .

(٣،٣) النجوم الزاهرة ٢٤٩/٥ . (٤) " هو طاهر بن سعد الصاحب ، الوزير أبو على المزدقانى ، و كان قد عاداه وجيه الدولة بن الصُّوفى ، فانتمى إلى الإسماعيلية ؛ خوفًا منه " اهـ النجوم الزاهرة ٢٣٥/٥ (بنوع اختصار) .

(٥) الإسماعيلية من غُلَاة فِرَق الشيعة ، " و هم الذين أثبتوا الإمامة لإسماعيل بن جعفر الصادق ، و من مذهبهم أنّ الله تعالى لا موجود و لا معدوم، و لا عالم و لا جاهل ، و لا قادر و لا عاجز ، و كذلك فى جميع الصفات " اهـ كشاف التهانوى ٣٨/٤ ، و انظر أيضًا ١٣٦/٤ . (٦) د. الحوفى : الزمخشرى ص ٤٥ ،و نحوه للدكتور الجوينى فى : منهج الزمخشرى فى تفسير القرآن ص ٣٩ ، ٤٠ . (٧) فى عبارة د. الجوينى ، و د. الحوفى : (شمس الملك) ، وعبارة (النجوم الزاهرة) : (شمس الملوك) ، و بها أَخَذْتُ ، و شمس الملوك هذا ، هو إسماعيل بن تاج الملوك بُورِى ابن الأتَابَك ظهير الدين طُغْتِكِين صاحب دمشق ، فَتَح حصن بَانْيَاس ، و خلّصه من يد الفرنج سنة ٥٢٧هـ ، ثم تُوُفِّىَ سنة ٥٢٩هـ ، انظر : النجوم الزاهرة ٢٥٠/٥ ، ٢٥٢ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ .

سنة ٥٢٦هـ[١] "[٢] .

وهذا رَشٌّ ممّا وَقَعَ إليه عن أهل الكوفة و البصرة ، و ذا أيضًا ذَرْوٌ احْتَجَنَهُ لِنَفْسِهِ عن أهل بغداد ؛ فأمّا الأوّلُ فَقَوْلُه : " ويُسَمِّى أهلُ الكوفة الأَحْمَقَ : دُرَيْنَةَ[٣] ، وأهلُ البصرة : دُغَيْنَةَ "[٤] ، وأمّا الآخر فَتَسْجِيلُهُ عن أهل بغداد قَوْلَهم : " (فِى دَقَنِكَ) [٥] ؛ أى : فى لِحْيَتِك "[٦] ، وقولهم[٧] : "(الهَرْفُ جَرْف)؛ أى : مَنْ جَاءَ بالبواكير جَرَفَ أموال النّاس "[٨] .

والزمخشريُّ هنا أيضًا إنّما يُحْذِيكَ مِنْ (بغداديّاته) عن مُكْثٍ هنالك أو ثَوَاء ، فإنْ أُرِيتَ حِذْوَتَهُ قُلًّا ، فَمَا أَخْطَفَهَا الرَّجُلُ لك عن بَدَاء[٩] ، إنْ هى إلا فَاتِحَةٌ مِنَ السَّابِقِ وابتداء ، و لِلَّاحِقِ – لو يَشَاء – خِيَارُ الاحْتِذَاء .

---

(١) مِنْ هذا المديح قوله : إذا تقبّلنِى شمسُ المُلُوكِ فقد جَرَرْتُ فوقَ الطِّباقِ السَّبْع أَذْيَالِى
انظر : قراءة فى تراث الزمخشرى ص ٢١٠ ، ٢١١ حيث أنشد د. الجوينى طَرَفًا من مَديح الزمخشرى فى شمس الملوك .
(٢) د. الحوفى : الزمخشرى ص ٤٥ ، و انظر أيضًا : منهج الزمخشرى فى تفسير القرآن ص ٤٠ . و عبارة النجوم الزاهرة : " و لما احْتُضِرَ (أى : تاج الملوك) أَوْصَى إلى ولده شمس الملوك إسماعيل ، فولى بعده . و كانت ولاية يورى على دمشق ثلاث سنين و شهورًا " اهـ ٢٤٩/٥ .
(٣) هو أيضًا فى (اللسان) ؛ انظر : درن (١٣٦٨/٢) .
(٤) الأساس : درن (٢٦٩/١) ، و فى اللسان : دغن –: " دُغَيْنَة : الأحمق " اهـ ١٣٩١/٢ ؛ عَمَّ بها ، و لم يقصرها على البصريّين . (٥) لم أجدها فى اللسان : دقن (١٤٠٣/٢) .قُلْتُ : و مِنْ بَاكِرِ ما سُمِعَ فى إبدال الدّال دالًا –: قولُ ربيعة : (الدّكر) فى : (الذِّكر) ؛ انظر : اللسان :دكر (١٤٠٣/٢) ، و : ذكر (١٥٠٧/٣) ، فَيُشْبِهُ أن يكون قول البغداديِّين هنا من صنيع ربيعة بسبب ، فهذا من ذاك ، و قد شاع نحو هذا فى لهجاتنا فى العاميّات المعاصرة ؛ فهو من حديث البَحْرِ – كما يقولون –. (٦) الأساس : دقن (٢٧٨/١) . (٧) يحتمل أن يكون معناه : البُكُورُ خيرٌ و نماء ؛ فالهَرْفُ مِنْ معانيه فى لسانهم : الأوّلُ – انظر : اللسان : هرف (٤٦٥٤/٦) – ، و : الجَرْفُ هنا : الخِصْبُ و الكلأ المُلْتَفُّ ، فيه من حُبُوب البُقُول ، و يَبِيس ورَقِها ، و الإبل تَسْمَنُ عليه و تكتنز – انظر : اللسان : جرف (٦٠٢/١) – . و قولى هذا كأنّه من قول الزمخشرى بسبب ؛ لالتقائهما – على الجُمْلة – فى أَصْل المعنَى و عمومه . (٨) الأساس : هرف (٥٤٣/٢) . قُلْتُ : و يُشْبِهُ أن يكون من بابته قولُ (الأساس) –: "مَنْ أراد الفَلَجْ ، فعليه بالدَّلَجْ" اهـ دلج (٢٧٨/١). (٩) " يُقال : أَخْطَفَ لى مِنْ حديثه شيئًا ثمّ سَكَتَ ، و هو الرَّجُلُ يأخذ فى الحديث ثم يَدَعُ له فَيَقْطَعُ حديثَه " اهـ اللسان : خطف (١٢٠١/٢ ، ١٢٠٢) .

فَمِنْ حَدِيثٍ مُكْثِه فى بغداد أو ثَوَائه فيها –: خَبَرُ اجتِماعِهِ[١] بالدّامَغَانِىِّ[٢] الفَقِيه[١] المتكلم[٣]، وبالشَّريف أبى السعادات بن الشجرى[٤] ، و خَبَرُ اخْتِلَافِهِ إلى أبى منصور بن الجواليقىّ[٥] ، و فيه يقـول التاجُ الكِندِىُّ[٦] – على ما حكاه القفطىُّ –: " قَدِمَ علينـــا[٧] بغـــداذ سنة ثلاث و ثلاثين وخمسمائة ، رأيتُهُ عند شيخنا أبى منصور بن الجواليقى[٥] مَرَّتَيْن ، قارئًا عليه بعض كُتُب اللغة من فواتحها ، و مُسْتَجِيزًا لها "[٨] . قُلْتُ: فانْظُرْ أنت إلى قارِئٍ يَسْتَجِيزُ مَنْ يقرأ عليه ، أيكون هذا منه لِمَامًا ، أم يَقْتَضِيه لُبْثًا يُناسِبُ اختلافَهُ إليه ؟!

بل لُبْثٌ هنالك و مُكْث، و هو ما أَوْجَدَهُ هذا الذى احْتَجَنَ مِنْ قول البغداديين[٩] : (الهَرْفُ جَرْف) ، فإنها عبارةٌ إلى (الأمثال) أَقْرَبُ ، و الأمثال أَوْلَجُ فى المَسَامِع ، وأَجْوَلُ فى المَجَامِع ، وهى – لهذا – لا تَقَعُ إلا لِمَنْ أَقَامَ ولَابَس ، وجَالَسَ وآنَس ، وهذا – عندى – مِنْ جَدِيدِ ما يُسْتَدَلُّ به على إقامته ببغداد[١٠] ، ولعلّ

(١،١) حيث سأله الدامغانىُّ عن سبب قطع رِجْله ؛ فانظر : معجم الأدباء ١٢٧/١٩ ؛ إنباه الرواة ٢٦٨/٣ تقف منهما على جواب الزمخشرى . (٢) الفتحُ فى ميمها مشهور ، و قَيَّدَها بالكسر فى معجم ما استعجم ص ٥٣٩ ، و (الدَّامَغان) – على ما قال أبو عبيد البكرىّ فى الموضع المذكور من معجمه –: مدينة بين الرَّى و نيسابور ، و هى إلى نيسابور أَقرب . (٣) هو أبو الحسين أحمد بن على بن محمد ، كان من بيت العلم و القضاء فى بغداد ، تُوُفِّى ٥٤٠هـ ؛ انظر : الجواهر المُضيَّة ٨٣/١ . (٤) و قد تَبَادَلَا فى اجتماعهما تحيّةً يَجْمُلُ بالأدباء تعرُّفُها فى ترجمتيهما –على ما قال الشيخ الطنطاوى فى: (نشأة النحو) ص ٢٠٥ – ؛ فانظر قصّة هذه التحيّة فى : معجم الأدباء ١٢٧/١٩ – ١٢٩ ؛ شرح شواهد الكشاف ٣٤٠/٤ ، ٣٤١ . (٥،٥) المتوفَّى ٥٣٩هـ ؛ و هو مُتَرْجَمٌ فى : معجم الأدباء ٢٠٥/١٩ – ٢٠٧ ؛ إنباه الرواة ٣٣٥/٣ – ٣٣٧ ؛ النجوم الزاهرة ٢٧٧/٥ . (٦) هو أبو اليمن زيد بن الحسن بن زيد ، المقرئ النحوى اللغوى ، توفى فى شوال ٦١٣هـ ، انظر ترجمته فى : معجم الأدباء ١٧١/١١ – ١٧٥ ؛ إنباه الرواة ١٠/٢ – ١٤ ؛ النجوم الزاهرة ٢١٦/٦ ، ٢١٧ . (٧) أى : الزمخشرى . (٨) إنباه الرواة ٢٧٠/٣ .

(٩) على ذِكْرِ ما أَحْدَثَهُ البغداديون ، نُذَكِّرُ هنا بما أحدثوه فى أوزان الشعر و قوافيه ، و ذلك : (القُومَا) ، و : (الْكَان و كَان) ، انظر قَدْرًا صالحًا من الكلام عليهما فى : أهدى سبيل إلى علمى الخليل ص ١٤٧ ، ١٤٩ ، وانظر أيضًا : إنباه الرواة ٢٩٧/١ ، ٢٩٨ ؛ النجوم الزاهرة ٢٠٤/٦ . (١٠) قُلْتُ: و مِنْ قديم خَبَرِ إقامته بها أيضًا –: ما نَقَلَهُ د. الحوفى عن (تاريخ أبى الفدا) أن الزمخشرى "بعد مرضه ٥١٢هـ زار بغداد ونَاظَرَ بها ، وأَلَّفَ كثيرًا من كُتُبه " اهـ الزمخشرى ص ٥١.